محمد رسول الله

صلى الله عليه وسلم

منهج ورسالة - بحث وتحقيق

الجزء التاسع

تأليــف:

فضيلة الشيخ / محمد الصادق إبراهيم عرجون

عميد كلية أصول الدين بجامعة الأزهر سابقًا

ابيض

بسم الله الرحمن الرحيم

الهجرة إلى الحبشة

السابقون إلى الإسلام كان أكثرهم من عِلية قريش وشباب بيوتاتها:

الذين استجابوا لله وللرسول من السابقين الأولين لم يكونوا كلهم ولا أكثرهم من الضعفاء والأرقاء والفقراء وحواشي بيوتات مكة، وأتباعها الملتقِطين فتاتَ موائدها ـ كما شُهر ذلك على ألسنة وأقلام عدد من الباحثين ـ بل كانوا في كثرتهم الكاثرة من صميم أبناء بيوت قريش وبطونها، وعِلية شبابها.

وهم معروفون بأسمائهم وأنسابهم، وبيوتهم، وقبائلهم، فما شُهر من أن الذين سبقوا إلى الإِيمان بدعوة رسول الله ﷺ، ومتابعته على دينه، وتصديق رسالته كانوا من الأرقاء والموالي والمستضعفين والمحرومين كلام لا تحقيق فيه، فلا يصح أن يؤخذ على إطلاقه ـ اغترارًا بما فيه من بريق مناصرة الإِسلام للضعفاء، وتخليص الأرقاء من رقِّ العبودية الظالمة، وتحرير الفقراء من أغلال الاستغلال الاجتماعي الجائر ـ تأثرًا بالمذاهب الاجتماعية التي غررت بطوائف الشعب الغريرة

الكادحة تحت اسم العمال والمحرومين، وأقاموا على دعائم هذا التغرير الخبيث الماكر الثورات الاجتماعية الخادعة الشريرة المفسدة الملحدة متمثلة في الشيوعية الفاجرة التي تسوق الشعوب بسياط من بشاعة القسوة والعذاب الذي لا يُطاق.

فهذا وإن كان في واقع الإسلام ومبادئه وشرائعه التي أنزلها الله لتحقيق العدالة الاجتماعية ونصرة المظلوم وإتاحة العيش الكريم لكل إنسان على أرض الله، لكنه ليس هو واقع السابقين الأولين من طلائع المؤمنين بدعوة الإسلام الذين أسلموا مع رسول الله ﷺ، واستجابوا له أول من استجاب لدعوته، فكانوا أول من آمن برسالته واهتدوا بهديه، وكانوا اللبنات الأولى في بناء صرح هذا الدين القيِّم دين الإسلام.

وليس هو واقع الإسلام في هدايته العامة التي جاءت لهداية الإنسانية كلها وتحريرها من ربقة الشرك والوثنية وإدخالها في حظيرة التوحيد وإفراد الله تعالى بالعبودية الخالصة.

وتخليصها من ذل الظلم الاجتماعي الذي فرضه عليها حفنة من الطغاة الظالمين فساقوها بسياط الظلم إلى مهاوي العبودية لهم ولما في أيديهم من حطام الدنيا.

فهذا رأي - على شهرته - مدخول، وضعه من يريد أن يقول: إن الإسلام يتملق الضعفاء والأرقاء والمحرومين ليستنصر

بهم في نشر دعوته ويخلصهم من الاستعباد الاجتماعي، فكانوا أسرع استجابة لدعوته وأشد إقبالًا على اعتناقه.

فلا يصح أن يغفل الذين يكتبون عن صدارة الإسلام وطلائعه عن هذه الدخيلة المغلَّفة بالبريق في هذا الرأي، ولا يصح أن تُسلَّم لقائلها إلا بعد النظر فيها نظرة فاحصة، تتبين بها دوافعه الاجتماعية، وعوامله السياسية في سير الدعوة، مما أدَّى بكثير من كُتَّاب السيرة النبوية قديمًا وحديثًا إلى الإيمان بهذه القضية المشهَّرة، التي يردها واقع التاريخ وحقائق الأحداث التي احتفت بها.

بيان مكانة السابقين إلى الإسلام في أقوامهم وعشائرهم:

بعث الله تعالى محمدًا ﷺ رسولًا إلى العباد كافة، وأمره بالإنذار العام في قوله تعالى:

﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ (المدثر: ٢)

فنهض رسولُ الله ﷺ بأمر ربه، لا يبالي بما يلقاه من شديد الأذى، وفادح البلاء، لا يتقي أحدًا من الناس.

ورأى ﷺ بتسديد الله وتوفيقه، وحكمة توجيه دعوته في سيرها وتبليغ رسالته أن لا يبادئ قومه بعداوة، وأن لا يعلن إليهم دعوته في أول خطواتها، وهو وحيد منفرد في قومه، ليس معه مَن ينصره منهم، ولا مِن غيرهم، وهم جميعًا -ومِن

ورائهم سائر العرب– بل سائر الدنيا، إلْب على هذه الدعوة الهادية الراشدة، التي تعيب وثنيتهم، وتنعَى عليهم شركهم، وتُسفِّه أحلامهم، وتسب آلهتهم، وتلقي بآبائهم وأسلافهم – في نسب الجاهلية – في نار جهنم خالدين، وتندد بحياتهم المادية الظالمة التي يحيونها دون رادع يردعهم عن فجور ظلم يرتكبونه، أو عتو بغي يأتونه، حيث لا قانون ولا دين، ولا نظام ولا ضمير.

ورسول الله ﷺ ماض في دعوته، لا يصده عنها صادٌّ، ولا يرده عن سبيلها رادٍ، فاستجاب له أول من استجاب ـ بعد زوجه النجيبة، الأريبة، الحسيبة النسيبة، سيدة قومها جاهلية، وسيدة نساء العالمين إسلامًا، السيدة خديجة بنت خويلد الأسدية القرشية ـ أبو بكر الصديق، العليم، العُيْلم، أعلم قريش بقريش وأحسابها ومفاخر بطونها المؤثل ثراء، المؤمل نجدة، صاحب حمائل قريش، وأثقالها في دياتها، وما ينوبها في منافراتها، الذي لا يُرد قوله عندها، ولا تخذله إذا تحمل.

كان أبو بكر –رضي الله عنه– مذ دخل في الإِسلام قوَّامًا بالدعوة إلى الله، ما دعا أحدًا إلا استجاب له، وما كان يدعو إلا من يستجيب له من أبناء قمم قريش، وذرى أحسابها، وشباب بيوتها.

غيظ قريش وحنقها على السابقين إلى الإيمان من شبابها:

واتخذ رسول الله ﷺ من دار الأرقم في أصل الصفا دار دعوته ومعهد تلقي رسالته، جعلها مجمع السابقين إلى الإيمان من أصحابه، وأقبل عليه أهل الصدق من شباب قريش وغير قريش مؤمنين بدعوته، متبعين له في دينه، مصدقين برسالته، مهتدين بهديه، أعزة في قومهم، كرماء على أنفسهم، وكثروا وتكاثروا، وهم مُسْتخفون مع رسول الله ﷺ، وشعرت قريش بهم وبخطرهم عليها وعلى حياتها الجاهلية، ومادت الأرض تحت أقدامها، والتفَت رجال كل بيت في قريش إلى أنفسهم وأسرهم، أبنائهم وإخوتهم، فإذا بهم يرون أن محمدًا ﷺ قد اجتذب منهم زهرات شبابهم، ومصدر قوتهم وعدة مستقبلهم، فهم عنده ومعه مسلمون، مؤمنون، واعتنقوا عقيدته، عقيدة التوحيد، وهجروا آلهة آبائهم وأسلافهم، وسفهوا معه أحلامهم، ووصموا بالدنية قومهم، وأصبحوا جند دعوة محمد ﷺ، وكتائب رسالته، ودخلوا معه بشظف العيش، ويبس الحياة وفقرها، بعد الترف والمتعة في بيوتهم بين أهليهم، وفارقوا المال والولد، والأخوة والآباء، والأمهات والزوجات، وتبدلوا بهم محمدًا ﷺ وأصحابه، فهو أبوهم، وأصحابه إخوتهم، يسمعون له،

ويقولون بقوله، لا يخالفون عن أمره، يلحظون موضع إشارته، ويرمقون نظراتــه، ويتأدبون بأدبه، يحبونــه أكثر مما يحبون أنفســهم، لا يترددون في تحقيق رغبة مــن رغباته، ولو كانت فيهــا حياة أحدهــم، فكانوا منه، ومعه، بما لــم يكونوا به من أمهاتهم وآبائهم، ومع أولادهم.

وطارت عقولُ قريش شعاعًا من أدمغتها إذ تمثلوا هذا في واقعهم، ودارت أفئدتهم في حنايا أضلعهم، وتنفسوا الصعداء غمّا وهمّا وكمدًا، وما يغني غم الدنيا وهمها وكمدها شيئًا، فليركبوا رأس الشيطان فجورًا وعتوّا، وبغيًا وكفرًا، وليفتكوا بكل من يقدرون عليه من فلذات أكبادهم الذين تابعوا محمدًا ﷺ، ولتذهب رحمة الأبوة وشفقة البنوة راغمة تحت أقدام آلهتهم لعلها ترضى عنهم.

إشارة رسول الله ﷺ على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة:

وبدأت فدائح البلاء تتوالى على هؤلاء المؤمنين بمحمد ﷺ ورسالته من أحب الناس لهم، وشَعَرَ رسول الله ﷺ بما ينال أصحابه من شديد الأذى وقواصم البلاء، ونظر إلى ما هو فيه من العافية لمكانه من الله تعالى، وبما وفق له الله تعالى من تسخير عمه أبي طالب لحمايته، وهو على دين قومه، وأنه ﷺ ليس بمستطيع أن يمنع أصحابه مما هم فيه من البلاء، وهم صابرون، محتسبون، لا يُؤذن لهم بردّ الاعتداء لأنهم دعاة هداية، وأصحاب رسالة، أريدوا لتبليغها إلى الحياة كلها في أرض الله، ولن يستطيعوا

أن يبلغوا رسالات ربهم إذا زجوا بأنفسهم في مضايق الإثارات والتدافع والتقاتل، فليصبروا، وليصابروا وليعفوا وليصفحوا، وليغضوا الطرف عن سفاهة السفهاء، وليغمضوا الأعين على قذى قسوة الآباء والأمهات، حتى يقضي الله تعالى بالفرج.

ولمعت بارقة الفرج من أفق الغيب، فإذا بها آية من آيات الله لنشر رسالته العامة الخالدة، في أرض غير أرض العتو والجبروت، بطريقة لا تلتزم خطة التبليغ في أرض العتو والجبروت.

لم تكن الهجرة فرارًا بل كانت الهجرة لونًا من ألوان تبليغ الرسالة:

فليبق ملأ قريش على كفره وعتوه، وفجوره وبغيه، ولتبق -إلى حين- قريش كلها في مكة مطموسة البصيرة، منقادة بسلطان ملئها من الطغاة الذين لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم، وليخرج المصطفون لتلقي آية الفرج إلى حيث يأمنون على أنفسهم الفتنة في دينهم، يعبدون ربهم في غير خوف ولا إزعاج، ويبلغون رسالته بلاغًا ترسم له العناية الإلهية طريقه في غير إثارة ولا استفزاز، فلا فرار، ولا هرب، ولكنها نقلة يؤدى فيها حق الدعوة بصورة من صور تبليغ الرسالة، فلتتصورها قريش ومن والاها فرارًا وهربًا، وليتصورها أصحاب العقول السطحية -الذين لا يتعمقون الأحداث، ولا يأخذون في حسابهم النتائج مرتبطة بالمقدمات، ولكنهم

ينظـرون إلـى الوقائع فـرادى، منقطعة الصلات بيـن مباديها ونهاياتهـا ـ هجرة لمجـرد الراحة من مس الأذى ومر العذاب، هجرة للأمن والسـلام، والراحة والأمن قد يكونان مقصودين، ولكن قصدهما لا يمنع أن يؤاخيهما في القصد أساس الإيمان بالدعـوة، بل لا يمنع أن يكون الأمـن والراحة مقصودين تبعًا لأسـاس الإيمـان بالدعـوة، وهو تبليغهـا بصـورة توائم الجو الجديد الذي تتنسمه الدعوة في رياحين حملتها.

وهل يستطيع من وجد الراحة والأمن وبيده دعوة تكلفه ألا يختزنها لنفسـه، وأن يبلغها لكل من يسـتطيع إبلاغها له، أن يقعد دون قيامه بحق هذا التبليغ إذا سنحت له الفرصة في غير إزعاج أو إثارة لمن آووه، وأمَّنوه، وأراحوه؟

إن المؤمنيـن الذين هاجـروا إلى الله منتقليـن من مكة إلى الحبشة يحملون في أفئدتهم آيات دعوتهم إلى الله، ويحملون معها دلائل حقها عليهم في تبليغها أينما وُجدوا من أرض الله، فكيـف إذا كانت هذه الأرض التي آووا إليها أرض صدق وأمن، لا يجدون فيها ظلمًا يزعجهم، ولا عداوة ترعبهم، ولا نفوسًا تكره دعوتهم وتناهضها؟

إنهم حينئذ يكونون مسئولين عن تبليغ هذه الدعوة كلما وجدوا مجال التبليغ مهيئا لكلمتهم كلمة الحق والخير، يجهرون بها في غير عنت لأحد، ولا إثارة للمزعجات، وهم آمنون مطمئنون.

وكذلك كانت الأرض التي وجههم إلى الهجرة إليها رسول الله ﷺ في قوله وهو يرى ما يصب عليهم من البلاء: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكًا لا يظلم عنه أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه»(١).

وفي حديث الزهري عند عبد الرزاق قال: لما كثر المسلمون وظهر الإيمان أقبل كفار قريش على من آمن من قبائلهم، يعذبونهم، ويؤذونهم، ليردوهم عن دينهم، قال: فبلغنا أن رسول الله قال لمن آمن به: «تفرقوا في أرض الله، فإن الله سيجمعكم» قالوا: إلى أين نذهب؟ قال «إلى هاهنا» وأشار بيده إلى أرض الحبشة، فهاجر إليها عدد، منهم من هاجر بأهله، ومنهم من هاجر بنفسه(٢).

فهذه الهجرة - وهي أول هجرة في الإسلام - لم تكن فرار ضعف، ولا هرب جبن وخوف، ولكنها كانت نقلة قصد بها:

أولا: البعد عن مواطن الفتنة في الدين للذين لا يستطيعون ردّ الاعتداء تمسكًا بعرى الصبر، إلى أن تتمكن الدعوة من توطيد أقدامها في السير إلى غايتها قوية منتصفة، فهي هجرة إلى عودة، ونقلة إلى رجعة، ومخرج من ضيق إلى فرج.

---

(١) رواه البيهقي في (دلائل النبوة) عن هند بنت حذيفة. (المجلة)

(٢) مصنف عبد الرزاق حديث رقم ٩٧٤٣. (المجلة)

ثانيا : البعد عن إثارة المعوقات في طريق سير الرسالة، وتبليغ دعوتها، لأن المؤمنين المهاجرين كانوا في كثرتهم من شباب قريش خاصة، وشباب قبائل العرب عامة، تملؤهم النخوة والحمية والأنفة من الرضا بالضيم، والاستسلام للظلم، وربما نفد صبرهم، وضاقت أنفسهم بما يلقون من جور واستبداد بهم، فتدفعهم طبيعتهم البشرية، وحميتهم العربية إلى مقاومة الظلم، ورد الاعتداء، كما وقع في قصة سعد بن أبي وقاص، وكان يصلي مع بعض إخوانه المسلمين، مختفين، فاطلع عليهم بعض المشركين، فعيروهم بترك دين آبائهم، وعابوا عليهم اتباع محمد ﷺ، واعتناق دينه، والإيمان بدعوته، وتصديق رسالته، واستهزءوا بهم، وضاربوهم، فلم يطق سعد صبرًا، فضرب رجلًا منهم بلحي جمل[٣]، فشجه شجة منكرة، أدماه بها، فكان أول دم أهريق في الإسلام، وكادت الفتنة تتسع ويتصل القتال.

فلو تكرر ذلك ـ وفي المسلمين كثرة من أمثال سعد حمية وأنفة ـ لكان فيه شغل شاغل لرسول الله ﷺ، ولأصحابه عن السير بالدعوة في طريق التبليغ بعيدة عن المعوقات، ولكان فيه مصادمة لحكمة الاستسرار بالدعوة لتجتذب إلى ساحتها أصحاب القلوب الواعية، والعقول السليمة الذين تتكون

(٣) اللِّحْي عظمة الفك التي تنبت فيها الأسنان. (المجلة)

منهـم كتائبهـا عندما تسـنح الفرصة لظهورهـا والجهر بها، وهي قوية الشكيمة، ثابتة الدعائم، وطيدة الأركان.

ثالثًـا: تخفيـف الأزمات النفسـية التي كانت - لو اسـتمر المهاجـرون فـي بقائهـم بمكة، لـم يهاجروا - تضيـف أعباء جديـدة إلـى الأعباء التـي يتحملها رسـول الله ﷺ فـي تلقي الوحي برسـالته، وحمل أمانـة تبليغها والإنذار بها، وهو يرى أصحابـه يـؤذَون أشـد الأذى، ويعذبون أقسـى العـذاب، ولا يسـتطيع منعهم وحمايتهم مما يلاقون، دون أن يؤذن لهم في رد الاعتداء.

رابعًا: إفسـاح المجال أمام رسـول الله ﷺ للسـير بالدعوة قدمًـا فـي طريـق التبليـغ، ولا شـك أن هجـرة مـن هاجر من المسـلمين كان فيهـا هذا الإفسـاح الذي يخفف مـن الأعباء النفسـية التي تشـغل رسـول الله ﷺ بالتفكر في أمرهم، وهم يتعرضون للفتنة في دينهم بما ينالهم في أنفسـهم من شـديد الأذى، وفادح البلاء.

والذيـن يقرءون أسـماء من هاجر إلى الحبشـة أولًا وثانيًا، ويعرفـون أنسـابهم، وبيوتهـم، وأحوالهـم الاجتماعيـة، ومكانتهـم في أقوامهم يعلم علـم اليقين أن هجرتهم أرفع من أن تكون لمجرد الفرار من الأذى، أو لمجرد الهرب مما يلقون من البـلاء، وإنما كانت هجرة قوم آمنوا بالله ربًا وبنبيه محمد

ﷺ رسولًا، فأوذوا بما لا طاقة لبشر على احتماله، ولم يجدوا للدفاع عن أنفسهم سبيلًا؛ لأنه لم يؤذن لهم في ردّ الاعتداء، بل أُمروا بالصبر والصفح، لا عجزًا وضعفًا، ولكن حكمة تدبير وسياسة تقدير.

وحسبنا في البرهنة على ما ذهبنا إليه أن الذين هاجروا إلى الحبشة، أولًا وثانيًا كانوا من أعز بيوت العرب وقبائلها، قريش فمن دونها، ليس فيهم ضعيف أو مستضعف، ولا مولى ولا تبع، والقلة التي لم تكن بهذه المثابة نسبًا وعصبية، كانت منها حلفًا، وحليف القوم منهم نجدة وحماية.

قال ابن إسحاق: وكان أول من خرج من المسلمين من بني أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف، عثمان بن عفان، معه امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ.

سجل المهاجرين برهان على أن هجرتهم لم تكن لمجرد الفرار:

ثم ذكر ابن إسحاق سجلًا مسهبًا مفصلًا بأسماء وأنساب جميع المهاجرين إلى الحبشة في مرتيها، الأولى، والثانية، وكانوا سوى أبنائهم الذين خرجوا معهم صغارًا أو ولدوا بها -ثلاثة وثمانين رجلًا، أكثرهم قرشيون من طلائع بيوتهم وأشراف بطونها.

فهل من المعقول أن يخرج هذا العدد العظيم من الرجال،

ذوي الأنفة والحمية عن بلادهم، وأهليهم، وعشائرهم، تاركين ديارهم وأموالهم وأولادهم، لمجرد الفرار والهرب من وجوه المشركين؟

أفما كان هذا العدد الكثير بمستطيع أن يتجمع أفراده، ويقفوا في وجه العدوان عليهم، ويردوه عنهم بقوة القتال خفية وعلانية؟

نعم، إنهم بالقياس إلى أعدائهم قلة عددية، وكان أقوامهم وعشائرهم يأخذونهم فرادى، يعذب كل قوم من يسلم منهم، لكن هؤلاء المؤمنين كانوا مستطيعين ـ لو أرادوا ـ أن يكيدوا لأعدائهم ويجمعوا أمرهم للدفاع عن أنفسهم، ويغتالوا الكثير من رءوسهم، ولو واجههم أعداؤهم في قتال لنالوا منهم، وساجلوهم، وانتصفوا، وفي الوقائع الجزئية ما يؤيد ذلك، وقد أشرنا إلى قصة سعد بن أبي وقاص، وذكرنا غيرها من الحوادث التي استبسل فيها المؤمنون دفاعًا عن أنفسهم.

سياسة الاستسرار بالدعوة كانت سياسة حكيمة محكمة موفقة:

وهذا كله يؤيد أن سياسة الحكمة التي سلكها رسول الله ﷺ بتوفيق الله في استسراره بالدعوة وهي مشرقة في أفق الحياة كانت سياسة حكيمة محكمة، أثمرت ثمراتها في تجميع قوة من المؤمنين الراسخين في إيمانهم، الصادقين

في يقينهم، الذين تولاهم رسول الله ﷺ أول ما تولى بالتربية والتوجيه، حتى فشا الإسلام في مكة، وتسامع به الناس في أنديتهم ومحافلهم، وبدأت قريش -وهي سيدة مكة- تحس بخطر هذه القوة يدخل عليها في بيوتها، ويجتذب منها شبابها، ويأخذ بحلاقيمها، فشنت على المؤمنين حربًا خسيسة، لا مواجهة فيها، ووقف المؤمنون من هذه الحرب الظالمة موقف الصبر والاحتمال، بل موقف الصفح والعفو والإجمال، مما أدى أو كاد يؤدي إلى تجميد حركة الدعوة وإبلاغ الرسالة.

وفي نفوس المؤمنين قوى تتفاعل مكتومة مكبوتة، يراها رسول الله ﷺ، ويرى آثارها مرسومة على وجوه أصحابه، وهم من الشباب المفعم حماسة وقوة وحركة، وتحفزًا لردِّ الاعتداء، وهو ﷺ لم يؤذن له بالمقاومة ورد الاعتداء بالقتال، فكان من أحكم التدبير وحكمة السياسة أن يفتح ﷺ لأصحابه باب الهجرة، حتى يجدوا لأنفسهم متنفسًا في حركاتهم وهم آمنون على أنفسهم، يعبدون ربهم وهم مطمئنون، لا يثنيهم أمر، ولا يفزعهم شيء، ولا شك أن هذا لون من ألوان السياسة في تبليغ الدعوة، بدأ هادئًا هامسًا، فلما حركه تحرك معبرًا أصدق تعبير عن هداية الإسلام في أعظم محفل من محافل الحوار، الذي هيأ الله له أسبابه وعوامله ودوافعه، ونصب له

معالمــه وأقام منائــره، وقد اقتضى هذا الحوار من المســلمين المهاجريــن في أعظم فرصة ســانحة أن يعرضوا رســالة نبيهم ﷺ، وحقيقــة دينهــم عرضًا حــرّا، أكمل ما تكــون الحرية، صادقًا أبلغ ما يكون الصدق، يعقده ويشــهده ملك البلاد التي آوتهــم، ويحضره معــه بطارقتها وأهل العلــم فيها، ويحضره ذوو رأيهــا ووجهائهــا ويحضــره راغميــن رســولا قريــش إلى النجاشي ملك الحبشة ليرد عليها هؤلاء المهاجرين، فيسمع هذا الحشــد الحافل في صراحة وقوة صوت الإسلام، يعلن عن حقيقته، ويشــرح دعوته ويبلغ رسالته، فيؤمن من آمن، يؤمن الملــك إيمانًــا يبخع به بــأْوَ الغرور(٤)، ويبط دمــل الحقد في أنفس قريش ورسوليها إلى النجاشي(٥)، ويؤمن معه أهل العلم من البطارقة والقسيســين والرهبان، إيمانًا تفيض معه أعينهم بدمع اليقين بأن ما ســمعوه من متكلــم المهاجرين وخطيبهم جعفــر بــن أبي طالب ابن عم رســول الله ﷺ، إنمــا يخرج من مشكاة موسى وعيسى عليهما السلام.

حديث أم سلمة عن قصة الهجرة:

ومــن أصــح وأجمع وأجــود ما عبر عــن قصة الهجــرة إلى الحبشــة، وما فيها من الحقائق والمعاني التي تجعلها أثرًا من

---

(٤) البأو: الزهو والافتخار. (المجلة).

(٥) بطَّ الجُرحَ: عالجه بالمِبضع (= المشرط). (المجلة).

أعظم آثار حكمة الاستسرار بالدعوة، وتنأى بها عن مجرد الفرار والهرب، وتدخلها في طرائق التبليغ للرسالة التي سنها رسول ﷺ بحكمة سياسته المحكمة الموفقة - حديث أم سلمة رضي الله عنها، وكانت إحدى المهاجرات مع زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي الذي ساقه ابن إسحاق فأحسن وجوّد.

قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم الزهري، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة زوج رسول الله ﷺ، قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا فيها خير جار، النجاشي، أَمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى، ولا نسمع شيئا نكرهه، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فحملوا له أدمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلا أهدوا له هدية، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته، قبل أن تكلما النجاشي فيهم، ثم قدِّما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما، قبل أن يكلمهم.

قالت أم سلمة رضي الله عنها: فخرجا حتى قدما على

النجاشـي، ونحن عنده بخيـر دار، عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريرك إلا دفعا إليه هديته، قبل أن يكلما النجاشـي، وقـالا لـكل بطريرك منهم: إنـه قد ضوى إلى بلـد الملك منا غلمان سـفهاء، فارقـوا دين قومهم، ولم يدخلـوا في دينكم، وجـاءوا بدين مبتـدع، لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقـد بعثَنا إلى الملك فيهم أشـرافُ قومهم ليردَّهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم، ثم إنهمـا قدَّما هداياهما إلى النجاشـي فقبلها منهما، ثم كلماه، فقالا: أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سـفهاء، فارقـوا ديـن قومهـم، ولـم يدخلوا فـي دينك، وجـاءوا بدين ابتدعوه، لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم مـن آبائهم وأعمامهم وعشـائرهم لتردهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، وعاتبوهم فيه.

قالت أم سـلمة رضـي الله عنها: ولـم يكن شـيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشـي، قالـت: فقال بطارقتـه حوله: صدقا أيهـا الملك، قومهـم أعلـى بهم عينًا، وأعلـم بما عابوا عليهم، فأسـلمهم إليهما، فليرداهم إلى بلادهم وقومهم، فغضب النجاشـي، ثم قال: لا والله، إذن لا أسـلمهم إليهما، ولا يكاد قوم جاوروني،

ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنت جوارهم ما جاوروني.

قالت أم سلمة رضي الله عنها: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول - والله - ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائنًا في ذلك ما هو كائن، فلما جاءوا - وقد دعا النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله - سألهم، فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من هذه الملل؟

قالت أم سلمة رضي الله عنها: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول

الزور، وأكل مال اليتيـم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام.

قالت أم سـلمة رضـي الله عنهـا: فعدوا عليه أمور الإسـلام فصدقنـاه، وآمنـا به، واتبعناه علـى ما جاء به مـن الله، فعبدنا الله وحده، فلم نشـرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا مـا أحل لنا، فعـدَا علينا قومنـا، فعذبونا وافتتنونـا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نسـتحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننـا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشـي: هل معك مما جاء به عن الله من شـيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي، فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدرًا مـن (كهيعص)، فبكى والله النجاشـي، حتى اخضلت لحيته، وبكت أسـاقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا مـا تلا عليهـم، ثم قال لهم النجاشـي: إن هـذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة.

ثم قال لرسولي قريش: انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون.

قالـت أم سـلمة رضـي الله عنهـا: فلمـا خرجـا مـن عنده، قـال عمرو بن العـاص: والله لآتينه غدًا عنهم بما أسـتأصل به

خضراءهم، فقال له عبد الله بن أبي ربيعة ـ وكان أتقى الرجلين فينا ـ لا تفعل، فإن لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا، قال عمرو: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد، ثم غدا عليه من الغد، فقال له: أيها الملك؟ إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيمًا، فأرسِل إليهم، فسلهم عما يقولون فيه؟ فأرسل إليهم ليسألهم عنه، قالت أم سلمة رضي الله عنها: ولم ينزل بنا مثلها قط، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم، إذا سألكم عنه؟ قالوا:

نقول ـ والله ـ ما قال الله، وما جاءنا به نبينا، كائنًا في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ، يقول: هو عبد الله ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله، حين قال ما قال -فقال: وإن نخرتم والله- ثم قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي ـ والشيوم الآمنون ـ من سبكم غرم، ما أحب أن لي دَبرًا من ذهب(٦)، وأني آذيت رجلا منكم، ردوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ مُلكي،

(٦) الدَّبر: (بلسان الحبشة): الجبل. (المجلة).

فآخذ الرشــوة فيــه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه، فخرج رســولا قريش من عنده مقبوحين، مــردودًا عليهما ما جاءا به. وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار. ا.هـ حديث أم سلمة رضي الله عنها.

رواية تخالف حديث أم سلمة في قصة الهجرة إلى الحبشة:

ويروي البيهقي في دلائل النبوة بسـنده إلى كتاب المغازي لموسـى بن عقبة مـا يخالف بعض المخالفة حديث أم سـلمة فيقـول: ثم إن قريشًــا اختمرت رءوســهم، واشــتد مكرهم، وهمــوا بقتـل رســول الله ﷺ أو إخراجــه حيــن رأوا أصحابــه يــزدادون، ويكثرون، فعرضــوا على قومــه أن يعطوهم ديته، ويقتلــوه، فأبــى ذلك قومــه، ومنــع الله عزّ وجلّ رســوله ﷺ بحميــة رهطه، واشــتدوا على أتباعه على ديــن الله من أبنائهم وإخوانهــم وقبائلهم، فكانت فتنة شــديدة، وزلزالا شــديدًا، فمنهم من عصم الله، ومنهم من افتتن.

فلما فُعل بالمسلمين ذلك أمرهم رسول الله ﷺ حين دخل الشــعب(٧) مع بني عبد المطلب بالخروج إلى أرض الحبشــة،

(٧) المشــهور أن الهجرة الأولى إلى أرض الحبشــة كانت قبل إسلام عمر بن الخطاب، وإســلام حمزة بن عبد المطلب، وإســلامهما كان في الســنة السادســة من النبوة، والهجرة الأولى كما يقول ابن إســحاق كانت في السنة الخامسة، ودخول النبي ﷺ مع قومه شــعب بني هاشم كان في سنة سبع أو ثمان من النبوة، فما ذكره ابن عقبة غير واضح.

وكان بـأرض الحبشـة ملك يقال له النجاشـي، لا يُظلم بأرضه أحـد، وكان يثنى عليه مع ذلك كثيـرًا، فانطلق إليها عامتهم حيـن قُهروا وخافوا الفتنة، ومكث رسـول الله ﷺ فلم يبرح، وذلك قبل خروج جعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم إلى أرض الحبشة، وأنهم خرجوا مرتين، ثم رجع الذين خرجوا في المرة الأولى قبل خروج جعفر وأصحابه.

ثم ذكر ابن عقبة سبب رجوعهم، وربطَه بأكذوبة الغرانيق، التي وضعها الزنادقة، كما سنبينه - إن شاء الله - عند مناسبتها.

ثـم قال البيهقي في سـياق كلام ابن عقبة: وخرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في رهط من المسـلمين عند ذلك - أي عند اشـتداد الأذى على المسلمين بعد رجوع أصحاب الهجرة الأولى - فرارًا بدينهم أن يفتنوا عنه إلى أرض الحبشـة، وبعثت قريش عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد بن المغيرة، وأمروهما أن يسـرعوا السير ففعلا، وأهدوا للنجاشي فرسًا وجُبة ديباجٍ، وأهـدوا لعظماء الحبشـة هدايا، فلما قدما على النجاشـي قَبِلَ هداياهم، وأجلس عمرًا على سـريره، فقال عمرو: إن بأرضك رجالا منَّا سـفهاء، ليسوا على دينكم، ولا على ديننا، فادفعهم إلينا، فقال عظماء الحبشـة للنجاشـي: أجل، فادفعهم إليهم، فقال النجاشـي: لا والله، لا أدفعهم إليهم حتى أكلمهم، وأعلم على أي شـيء هم، فقال عمرو بن العاص: هم أصحاب الرجل

الذي خرج فينا، وسيخبرك بما يعرف من سفههم، وخلافهم الحق، إنهم لا يشهدون أن عيسى ابن الله، ولا يسجدون لك إذا دخلوا عليك، كما يفعل من أتاك في سلطانك.

فأرسل النجاشي إلى جعفر وأصحابه، وأجلس النجاشي عمرو بن العاص على سريره، فلم يسجد له جعفر، ولا أصحابه، وحيوه بالسلام، فقال عمرو وعمارة: ألم نخبرك خبر القوم، والذي يراد بك؟ فقال النجاشي: ألا تحدثوني أيها الرهط، ما لكم لا تحيوني كما يحييني من أتاني من قومكم وأهل بلدكم؟ ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ وما دينكم؟ أنَصارَى أنتم؟ قالوا: لا، قال: أفيهود أنتم؟ قالوا: لا، قال: فعلى دين قومكم؟ قالوا: لا، قال: فما دينكم؟ قالوا: الإسلام، قال: وما الإسلام؟ قالوا: نعبد الله وحده، لا شريك له ولا نشرك به شيئًا، قال: من جاءكم بهذا؟ قالوا: جاءنا به رجل من أنفسنا، قد عرفنا وجهه ونسبه، بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا، فأمرنا بالبر، والصدق، والوفاء وأداء الأمانة، ونهانا أن نعبد الأوثان، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به، فصدَّقناه وعرفنا كلام الله تعالى، وعلمنا أن الذي جاء به من عند الله، فلما فعلنا ذلك عادانا قومنا، وعادوا النبي ﷺ الصادق، وكذبوه، وأرادوا قتله، وأرادونا على عبادة الأوثان ففررنا إليك بديننا ودمائنا من قومنا، ولو أقرونا استقررنا.

فقال النجاشي : والله إن خرج هذا الأمر إلا من المشكاة التي خرج منها أمر موسى عليه السلام . قال جعفر : وأما التحية فإن رسولنا أخبرنا أن تحية أهل الجنة السلام . فأمرنا بذلك ، فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضًا ، وأما عيسى بن مريم عليه السلام ، فهو عبد الله ورسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، وروح منه ، وابن العذراء البتول ، فخفض النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودًا ، وقال : والله ما زاد ابن مريم على هذا وزن هذا العود ، فقال عظماء الحبشة : والله لئن سمعتْ هذا الحبشة لتخلعنك ، فقال النجاشي : والله لا أقول في عيسى غير هذا أبدًا ، وما أطاع الله فيّ حين رد إليّ ملكي ، فأنا أطيع الناس في دين الله ، معاذ الله من ذلك ! ! .

ثم قال النجاشي : أرجعوا إلى هذا هديته - يريد عمرو بن العاص - والله لو رشوني دبر ذهب - والدبر في لغة الحبشة الجبل - ما قبلته ، وقال لجعفر وأصحابه : امكثوا ، فإنكم سيوم - والسيوم الآمنون - قد منعكم الله عز وجل ، وأمر بما يصلحهم من الرزق ، وقال : من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد غرم ، أي فقد عصاني .

ثم قال البيهقي في سياق كلام ابن عقبة : وكان الله عزّ وجلّ قد ألقى العداوة بين عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد في مسيرهما قبل أن يقدما إلى النجاشي ، ثم اصطلحا حين قدما على النجاشي

ليـدركا حاجتهمـا التـي خرجـا إليهـا مـن رد المسـلمين، فلما أخطأهم ذلك رجعا إلى أشـرّ ما كانا عليه من العداوة، وسوء ذات البيـن، فمكر عمرو بعمـارة، فقال: يا عمـارة إنك رجل جميل، فاذهب إلى امرأة النجاشـي، فتحدث عندها إذا خرج زوجها، فإن ذلك عون لنا في حاجتنا، فراسـلها عمارة حتى دخل عليها، فلما دخل عليها انطلق عمرو إلى النجاشـي، فقال له: إن صاحبي هذا صاحب نساء، وإنه يريد أهلك، فاعلم علم ذلك، فبعث النجاشي فـإذا عمـارة عند امرأتـه، فأمر به فنفـخ في إحليله، ثـم ألقي في جزيرة من البحر، فجن واسـتوحش مع الوحش، ورجع عمرو إلى مكة قد أهلك الله صاحبه، وخيّب مسيره ومنعه حاجته.

رواية الإمام أحمد في قصة الهجرة إلى الحبشة عن عبد الله بن مسعود:

ويؤيـد ما سـاقه البيهقي من كتـاب المغازي لابن عقبـة ما رواه الإمام أحمد بسند حسن، وصاحب (عيون الأثر) بسنده، والبيهقي بسنده في الدلائل عن عبد الله بن مسعود فقال: بعثنا رسول الله ﷺ إلـى النجاشـي، ونحن نحو مـن ثمانين رجلا، ومعنـا جعفر بن أبي طالب، وعثمان بن مظعون، وبعثت قريش عمارة وعمرو بن العاص، وبعثوا معهما بهدية إلى النجاشـي فلما دخلا عليه سجدا له، وبعثا إليه بالهدية، وقالا: إن ناسًا من قومنا رغبوا عن ديننا ونزلوا أرضك قـال: وأين هم؟ قالا: هم في أرضك، فبعث إليهم النجاشـي، فقال

جعفر: أنا خطيبكم اليوم، فاتبعوه حتى دخلوا على النجاشي، فلم يسجدوا له، فقالوا: ما لكم لم تسجدوا للملك؟ فقال جعفر: إن الله عز وجل بعث إلينا نبيه فأمرنا أن لا نسجد إلا لله تبارك وتعالى، فقال النجاشي: وما ذاك؟ فأخبره، فقال عمرو بن العاص: إنهم يخالفونك في عيسى، قال: فما تقولون في عيسى وأمه؟ قالوا: نقول كما قال الله عز وجل: هو روح الله، وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول، التي لم يمسها بشر، ولم يفرضها ولد، فتناول النجاشي عودًا فقال: يا معشر القسيسين والرهبان، ما تزيدون على ما يقول هؤلاء ما تزن هذه - وأشار إلى العود - فمرحبًا بكم، وبمن جئتم من عنده، فأنا أشهد أنه نبي، لوددت أني عنده فأحمل نعليه، أو قال: أخدمه، فانزلوا حيث شئتم من أرضي.

بحث وتحقيق حول من كان رفيقًا لعمرو بن العاص:

فهذا الحديث فيه أن عمارة بن الوليد هو الذي كان رفيقًا لعمرو بن العاص في بعثته إلى النجاشي ليردّ على قريش جماعة المسلمين الذين هاجروا إليه ونزلوا أرضه، ولم يرد فيه قط ذكر لعبد الله بن أبي ربيعة.

وحديث أم سلمة صريح في أن عبد الله بن أبي ربيعة هو الذي كان رفيق عمرو في سفارته إلى النجاشي ولم يرد فيه ذكر قط لعمارة بن الوليد.

وكأن صاحب (عيون الأثر) تنبه إلى هذا التدافع بين

الروايات، فأراد أن يدفع الاختلاف بينها فقال: وبعثت قريش في شأنهم إلى النجاشي مرتين: الأولى عند هجرتهم الأولى، والثانية عقب وقعة بدر، وكان عمرو بن العاص رسولا في المرتين، ومعه في إحداهما عمارة بن الوليد، وفي الأخرى عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميان.

وهذا كلام صريح في أن قريشًا بعثت في أثر المهاجرين إلى الحبشة مرتين في إحداهما كانت هجرتهم الأولى، وهي التي كانت في مدة استسرار الدعوة، قبل إسلام حمزة وعمر، والثانية كانت عقب وقعة بدر، وقد كانت هذه الوقعة الظافرة في السنة الثانية من الهجرة النبوية، فبينهما -على هذا التقدير- نحو من عشر سنوات، وهذا مستبعد جدًا.

وقد كان عمرو بن العاص رسولا في المرتين، كان في إحداهما عمارة بن الوليد رفيقًا لعمرو، وكان في الأخرى عبد الله بن أبي ربيعة هو الرفيق لعمرو، بيد أن صاحب (العيون) لم يوضح أي المرتين كان فيها عمارة رفيقًا لعمرو، وأيتهما كان فيها عبد الله بن أبي ربيعة هو الرفيق لعمرو، ولم يوضح -أيضًا- أي الرجلين هو الذي شهد حوار المهاجرين مع النجاشي، وحديث ابن مسعود، وحديث أم سلمة يثبت كل منهما للرجل الذي ذكر فيه مرافقًا لعمرو أنه هو الذي شهد هذا الحوار، وشارك عمرًا فيه، وسار معه في مهمته التي كلفته

قريش القيام بها فخاب سعيه، وقبح مَرَدُّه إليها، وحديث أم سلمة صريح في أن هذا الرفيق هو عبد الله بن أبي ربيعة.

وكلام موسى بن عقبة الذي ساقه البيهقي، وحديث ابن مسعود في رواياته واردان في شأن الهجرة الثانية، لأن ابن مسعود لم يكن من أهل الهجرة الأولى، كما جزم ابن إسحاق، وكما هو صريح حديثه في رواياته في قوله: بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي، ونحن نحو ثمانين رجلا، ومعنا جعفر بن أبي طالب.

فهذا العدد، وفيهم جعفر رضي الله عنه كان بالقطع في الهجرة الثانية؛ لأن الهجرة الأولى لم يزد فيها عدد المهاجرين على اثني عشر رجلا، ولم يكن فيهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، كما ذكر أسماءهم ابن إسحاق، وأم سلمة رضي الله عنها وإن كانت من أهل الهجرتين الأولى والثانية إلى الحبشة لكنها ذكرت في حديثها أن جعفر بن أبي طالب كان هو خطيب المسلمين ومتكلمهم عند النجاشي، وجعفر كان بالقطع من أهل الهجرة الثانية، فحديث أم سلمة يحكي ما جرى في الهجرة الثانية كحديث ابن مسعود، فاختلافهما في أي الرجلين: عمارة بن الوليد، أو عبد الله بن أبي ربيعة كان رفيقًا لعمرو بن العاص في سفارته التي وقع فيها الحوار بين النجاشي والمهاجرين -باقٍ لم تحل عقدته.

وكأنما تنبه القسطلاني في (المواهب) إلى هذا الإشكال فأراد حل عقدته فقال في الكلام عن الهجرة الأولى: فلما رأت قريش استقرارهم - أى المهاجرين - في الحبشة وأمنهم، أرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا وتحف من بلادهم إلى النجاشي، وكان معهما عمارة بن الوليد.

وصرح الزرقاني في شرح المواهب بأن عمارة لم يكن أصيلا في سفارة قريش إلى النجاشي وإنما كان تابعًا لعمرو بن العاص وابن أبي ربيعة فقال: ولم يذكر عمارة - أي في حديث ابن مسعود لأنه تبع لهما.

وحكى الزرقاني عن الشامية فقال: الصحيح أن في الهجرة الأولى عمارة، وفي الثانية عبد الله، ومعنى ذلك أن عمارة وعبد الله بن أبي ربيعة لم يجتمعا في بعثة واحدة مع عمرو بن العاص وهذا خلاف ما قاله القسطلاني، ويقتضي أن قريشًا بعثت في تَطَلُّبِ المهاجرين لردهم إليها تفتنهم في دينهم بعثتين، كان فيهما عمرو بن العاص رسولا، يرافقه في أولاهما عمارة بن الوليد وفي الثانية عبد الله بن أبي ربيعة.

بيد أن هذا لا يلتئم مع ما اتفقت عليه الروايات من وحدة الحوار الذي دار بين النجاشي من جانب وبين المهاجرين من جانب آخر، في موضوعه، وصورته التي جرى في إطارها، ونهايته التي انتهى إليها، وفي تعيين متكلم المسلمين

المهاجرين، وهو فـي كل الروايات جعفر بن أبي طالب رضي الله عنـه، بمشـهد من مبعوثـي قريش، وأحدهمـا على القطع عمرو بن العاص، وكان هو مشعل إغراء النجاشي وتحريشه.

لأنـه يبعد جـدًا أن يتكرر هذا الحـوار بصورته التي يحضر مجلسـها الملك وبطارقتـه ورءوس مملكته، وموضوعه الذي دار فيـه والمتكلم عن المسـلمين وخطيبهـم، وهو في جميع الروايـات جعفر بن أبي طالـب الذي اتفقت الروايات على أنه كان من أهل الهجـرة الثانية ولم يكن من أهل الهجرة الأولى، التـي كانت قليلة العدد، قليلة الزمـن المختص بها في مكث أهلهـا منفردين بالحبشـة بعددهـم القليل قبـل أن يلحق بهم إخوانهم أصحاب الهجرة الثانية.

ولعـل وحدة الحـوار، هو من أهم ما كان فـي هذه الهجرة، هو الحامل للحافظ بن حجر على الاقتصار في سـيرته على أن عمـرًا وعمارة ذهبا في الهجرة الثانيـة، ولم يذكر الحافظ في سـيرته ذهابًا لأحد مـن جهة قريش في الهجـرة الأولى، وهذا موافـق في ذكره عمـارة رفيقًا لعمرو بن العـاص لحديث عبد الله بن مسـعود، ورواية موسـى بن عقبة في مغازيه كما ساقها البيهقي في الدلائل.

والـذي نرجحـه - جمعًـا بين الروايـات - أن قريشـا بعثت في أثـر المهاجرين إلى الحبشـة من المسـلمين بعثة واحدة،

كانت في الهجرة الثانية التي بلغ فيها عدد المهاجرين من الرجال والنساء نحوًا من اثنين ومئة بين رجل وامرأة، وكان فيها عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، مبعوثين أصليين، وكان معهما رديفًا وتابعًا عمارة بن الوليد، وفي هذه الهجرة جرى الحوار المذكور في جميع الروايات بين النجاشي وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه؛ لأن هذه الهجرة الثانية في كثرة عدد أفرادها، وشمولها لأكثر بيوت قريش وبطونها وعشائرها هي التي أَشجَتْ قريشًا(٨)، وأخذها بسببها المقيمُ المقعدُ(٩)، ونزلت منها منزلة الغصة بالماء، فقد أهمتها أشد الاهتمام، وخشيت أن تكون منشرًا للدعوة التي أمضتها(١٠)، والرسالة التي أشجتها.

ويدخل في هذا الترجيح بداهة أن عمارة بن الوليد لم يكن موجودًا في مجلس الحوار بين النجاشي وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، لما جرى بينه وبين عمرو بن العاص من شر وسوء ذات بين.

ومن هنا أغفلت ذكره رواية أم سلمة رضي الله عنها التي رواها مجودة ابن إسحاق، لأنه لم تكن له مشاركة جادة، ولعله

(٨) أشجاه أغصَّه أي علق في حلقه. (المجلة).
(٩) القعيد العاجز. ويقولون أخذه المُقيم المُقعِد أصابه همّ منعه من القيام والقعود. (المجلة).
(١٠) أمضَّه الجُرح: أوجعه. (المجلة).

كان مشغولا بعبثه الذي انتهى به إلى أبشع مصير، كما تحكيه الروايات مرة متصلا بقصة عابثة يرويها أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه ولعلها أو تفاصيلها من نواسياته العابثة، ومرة في صورة سوء وئام وشر بينه وبين عمرو اقتضى أن يكيد له عمرو، ويمكر به حتى قذفه إلى ذلك المصير المشئوم، كما ذكره البيهقي عن مغازي ابن عقبة، وطوّل القصة السهيلي وأشار إليها القاضي عياض كما نقله عنه النووي في شرح مسلم.

بقي في البحث أن البيهقي في الدلائل ذكر بسنده إلى ابن إسحاق قال: حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال: إنما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وهذه رواية غريبة بين روايات قصة الهجرة إلى الحبشة، لأن سائر الروايات ـ سواء التي تذكر عمارة بن الوليد، أو عبد الله بن أبي ربيعة، أو هما معًا في رفقة عمرو إلى النجاشي ـ تذكر أن الذي كان يكلم النجاشي نائبًا عن المسلمين وخطيبهم هو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وكلها تذكر بالتفصيل ما كلم به جعفر النجاشي، وتذكر ما كان من أسئلة توجه بها النجاشي إلى المسلمين المهاجرين، وإلى متكلمهم جعفر، بناء على تحريض عمرو ورفيقه في بعثة قريش، وتذكر بالتفصيل والصراحة ما كان يجيب به جعفر عن هذه الأسئلة

باتفاق بينه وبين إخوانه المسلمين، على مسمع من بطارقة النجاشي ورهبانه ورءوس قومه ووجوه بلده، وعلى مسمع من رسولي قريش: عمرو وصاحبه.

ورواية أن الذي كان يكلم النجاشي إنما هو عثمان بن عفان لم يعرج عليها الرواة، ولم نر مَنْ ذكرها غير البيهقي بهذا الأسلوب المبتسر، المختصر المجمل، وعثمان بن عفان كان أول من هاجر بأهله إلى الحبشة، وهو رضي الله عنه في مكانته من الإسلام وفضله في السبق إلى الهجرة وقدره بين قومه من قريش لا ينكر عليه أنه هو الذي كلم النجاشي، وأنه هو الذي أدى عن المسلمين المهاجرين، وتكلم بلسانهم.

لكن سوق هذه الرواية بهذه الصورة لا يجعلها في قوة الروايات المتعددة المفصلة التي أطبقت على أن المتكلم بلسان المسلمين هو خطيبهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

غير أن رواية عثمان هذه قد تحل مشكل الروايات التي تحكي أن بعث قريش إلى النجاشي كان مرتين إحداهما في الهجرة الأولى، والثانية في الهجرة الثانية، ومن المعروف المتعالم أن عثمان رضي الله عنه كان من أهل الهجرتين، وجعفر رضي الله عنه كان من أهل الهجرة الثانية، ولم يكن في أصحاب الهجرة الأولى، التي كان عدد أصحابها قليلا اثني عشر رجلا وأربع نسوة، وهذا العدد في قلته لا يقلق قريشًا

إلا بمقدار ما تعرف من استقرارهم وأمنهم خشية أن يكونوا طليعة لهجرة غيرهم ونشر دعوتهم.

ومن ثم يمكن أن يتصور أن بعثة قريش الأولى وراء هذا العدد القليل من المسلمين المهاجرين كانت بعثة استطلاع وتعرُّف على حال هؤلاء المسلمين المهاجرين، ومدى استقرارهم ومدى ما وجدوا في مهاجرهم من الأمن على أنفسهم ودعوتهم، ولعل عمارة بن الوليد كان رفيقًا لعمرو بن العاص في هذه الرحلة الأولى.

ولم تكن هذه البعثة الاستطلاعية تقصد إلى حتمية ردهم إلى قومهم وبلدهم، ولعله قد جرى حديث في شأنهم في هذا الجو الاستطلاعي لإغراء الحبشة بهم حتى يسيئوا جوارهم وتضيق صدورهم بما يجدون منهم في غربتهم، فيرجعوا إلى بلدهم وقومهم، وكان المتكلم عن المسلمين حينئذ هو عثمان رضي الله عنه، وبهذا تتمشى هذه الرواية مع الروايات الأخرى، ولا تنفي أن خطيب المهاجرين المتكلم بلسانهم في مجلس النجاشي وبطارقته ورءوس بلده هو جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومما يؤكد هذا ويؤيده ما ورد أن النبي ﷺ كتب إلى النجاشي كتابًا خاصًا حمله إليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قبل أن يكتب إلى ملوك العالم ورؤساء القبائل كُتُبَهُ التي

دعاهم فيها إلى الإسلام بزمن مديد ؛ لأن كتبه ﷺ إلى الملوك والرؤساء كانت بُعيد رجوعه من الحديبية وكتابه الخاص إلى النجاشي مع ابن عمه جعفر بن أبي طالب كان قبيل دخلوه ﷺ مع المسلمين ومن آزرهم من بني هاشم والمطلب حمية شعب بني هاشم الذي أقاموا فيه محاصرين نحو ثلاث سنين.

وكتابه ﷺ مع جعفر إلى النجاشي كان للوصية بالمسلمين الذين هاجروا إلى بلده يرجون حسن جواره، والأمن والاستقرار في كنفه، بدليل أنه ﷺ حينما كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام كان أول من كتب إليه بذلك هو ملك الحبشة الذي خلف ملكها الذي أسلم على يدي جعفر، وكتب بذلك إلى النبي ﷺ، وهذا النجاشي المسلم هو الذي صلى عليه رسول الله ﷺ صلاة الغائب حين أُخبر بوفاته، وكان رسوله إلى النجاشي الثاني الذي كتب إليه يدعوه إلى الإسلام أسوة بملوك العالم هو عمرو بن أمية الضمري.

ونص كتاب النبي ﷺ إلى النجاشي الذي حمله معه إليه في هجرته جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه كان متضمنًا- إلى جانب الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وعبودية عيسى عليه السلام ورسالته، وأنه كلمة الله ألقاها إلى مريم العذراء البتول- الوصية بالمسلمين، وأن النبي ﷺ بعث إليه ابن عمه جعفرًا ونفرًا من المسلمين، ليكرمهم، فهو كتاب خاص كان

الهدف الأول منه هو الوصية بالمسلمين وإحسان جوارهم وإكرامهم ليأمنوا في جواره وهذا هو نص الكتاب كما ترويه كتب السيرة : «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ، ملك الحبشة ، سلم أنت ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني ، وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ، ونفرًا من المسلمين ، فإذا جاءك فَأَقرهم[١١] ، ودع التجبر ، فإني أدعوك وجنودك إلى الله ، فقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصحي ، والسلام على من اتبع الهدى» .

نص كتاب النجاشي إجابة لكتاب رسول الله ﷺ :

وقد ردَّ النجاشي على كتاب النبي ﷺ بكتاب أجاب فيه إلى الإسلام واستجاب إلى وصية النبي ﷺ بالمسلمين المهاجرين فأكرمهم ، فقال : «بسم الله الرحمن الرحيم . إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر . سلام عليك

(١١) يقال للطعام الذي يقدم للضيف (قِرى). والمراد هنا إكرامهم. (المجلة).

يا نبي الله ورحمة الله وبركاته من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام. أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تفروقًا، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه، وأسلمت على يديه لله رب العالمين.

وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق: والسلام عليك يا رسول الله.

تحقيق في من هو النجاشي الذي كتب إليه النبي ﷺ مع جعفر بن أبي طالب:

أما كتابه ﷺ إلى النجاشي الثاني، وليس هو بالذي صلى عليه ﷺ فإن هذا كان غير مسلم، وكان رسول رسول الله ﷺ إليه الذي حمله إليه هو عمرو بن أمية الضمري، فهو كتاب يدعوه فيه إلى الإسلام، وهو في نصه لا يختلف كثيرًا مع كتاب النجاشي الذي أسلم على يدي جعفر بن أبي طالب سوى أن كتاب عمرو الضمري لم يتضمن ذكر جعفر بن أبي طالب وأصحابه والوصية بهم وإكرامهم، كما أورده ابن القيم في كتابه (زاد المعاد) قال ابن القيم بعد أن ذكر أن النجاشي الذي توفي سنة تسع من الهجرة وخرج النبي ﷺ بالناس إلى

المصلى، فصلى عليه، وكبر أربعاً- وهذا وهم- والله أعلم- قد خلط راويه، ولم يميز بين النجاشي الذي صلى عليه، وهو الذي آمن به وأكرم أصحابه وبين النجاشي الذي كتب إليه يدعوه إلى الإسلام، فهما اثنان، وقد جاء ذلك مبينًا في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كتب إلى النجاشي يدعوه إلى الإسلام، وحمل كتابه إليه عمرو بن أمية الضمري، وليس هو بالذي صلى عليه.

وحديث الهجرة إلى الحبشة طويل الذيول، عريض الأكناف، متفاوت الأخبار، مختلف الروايات، وقد أتينا على ما بلغ جهد القلم من تحقيق روايات هذه الهجرة في مرتيها الأولى والثانية، وركزنا على أنها لم تكن هجرة لمجرد الفرار من الاضطهاد والتعذيب، لا سيما في المرة الثانية التي استوعبت كثيرًا من أبناء البيوتات وأشراف قريش، وإنما كانت هجرة للتخفيف عن رسول الله ﷺ في حرصه على أمن أصحابه، وعدم شغله نفسيًا بأمرهم ليتفرغ للدعوة وتبليغ رسالته وهي في مضايق مراحلها وأشد أزماتها واستسراره بها، وكانت هجرة تبليغ ونشر للدعوة، تركت أثرها بالحوار الصدوق الذي تولاه جعفر بن أبي طالب باسم سائر المسلمين المهاجرين، واستجاب لها النجاشي وأحباره ورهبانه، الذين فاضت أعينهم بالدمع مما سمعوا من الحق، وأنزل فيهم قرآنا يتلى

﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ﴾ (المائدة: ٨٢)

قصة الغرانيق أكذوبة بلهاء متزندقة

أقحم بعض كتاب السيرة النبوية، وجماعة من المفسرين، وطوائف من المحدثين في كتبهم ودواوينهم ومؤلفاتهم أقصوصة (الغرانيق)، وألصقوها بهجرة الحبشة وجعلوها سببًا لعودة المهاجرين الأولين إلى مكة، وهي أقصوصة مختلقة باطلة في أصلها وفصلها، وأكذوبة خبيثة في جذورها وأغصانها، وفرية متزندقة اخترقها (غرنوق) أبله جهول، أو زنديق حاقد على الإسلام، أو منافق ألقى بها إليه شيطان عابث مريد، يتلعب بعقول البله المغفلين، والذين يتكثرون تعالمًا، ويتلقفون كل شَوْهاء فَجُور، فجرَت إلى مجتمعات أعداء الإسلام، ومن كل يهودي خبيث، وكل ملحد عتي، وسرت منهم إلى كل مسلم أبله مغرر، وكل متعالم مغفل، وكل جدلي متفيهق، وكل مغرور مخدوع بكواذب المدح والثناء، وكل حَفَّاظ (صَمَّام)، وكل جَمَّاع لا يفقه ولا يتفقه، وكل جامد مقلد، وكل حرفي متعصب، وكل ملبس عليه يزعم أنه مجتهد، وكل خابط هنا وهناك يتكذب، وكل حاطب في ظلمات الجهل، يتلقف (العلم) من وراء طنين الأسماء، دون تمحيص ناقد، أو بحث مسدد، وكل مدع دعي، وكل متسقط يزعم أنه مجدد، وكل ملتقط يزعم أنه متنقٍ، وكل مزهو بالغرور يزعم أنه وحيد دهره، وفريد عصره، بل واحد أمته،

لو قيل له إن الشيطان يلَّبس عليك في علمك، فيوهمك ما ليس بحق أنه حق لانتفخت أوداجه غضبًا لنفسه، ولكنه يقبل ويدافع دفاع المستميت عن قصة مزورة تهدم أصل أصول الإسلام وتخرق سياج النبوة، وتبطل عصمة الأنبياء اعتماداً على رمرمة من مراسيل واهية.

فباضت هذه الأكذوبة البلهاء بين أحضان هؤلاء، وفرَّخت في أعشاشهم، وزقزقت أفراخها في أوكارهم، وطارت بأجنحة الافتراء الأبله إلى آفاق التاريخ الإسلامي المظلوم، فتلقفها كل (راوندي) ملحد، وحملها كل زنديق مفسد، ليطعن بها في سويداء قلب القرآن الكريم الحكيم المحكم، ويفتك بخنجرها بالسنة المطهرة المبينة، وهما أصل أصول الإسلام اللذان قام على دعائمهما شامخ صرح هذا الدين القيم، ليزعزع الثقة بأصليه، فينفلت من أيدي المسلمين زمام دينهم الذي أنزله الله تعالى هدى ورحمة للعالمين، ليهدم به كل بناء للوثنية والإلحاد، ويقضي بهدايته على معالم الشرك والإفساد، ويضعضع بآياته كل تفلسف متزندق، وكل زندقة متفلسفة، ويقيم بشرائعه وأحكامه منائر التوحيد الخالص لله تعالى وحده وينشر بآدابه في آفاق الحياة نور الحق والخير.

هذه الأكذوبة (الغرنوقية الخبيثة) تريد من المسلمين أن يجعلوا من سيد المرسلين، خاتم الأنبياء محمد ﷺ ألعوبة في

يد الشـيطان، وأن يجعلوا منه ﷺ معبثة للشرك والمشركين، وأبطولـة يرقـص من حولهـا الملاحدة والحاقـدون، ولكن الله تعالى يأبى إلا أن يجعل من دينه، دين الإسـلام الذي رضيه لأمة محمـد ﷺ حصنًا حصينًا لا تقتحمـه الأباطيل والترهات، ولا تنطلي على حذاق حَمَلَته من الجهابذة زندقة المتزندقين، وقد أخبر سـبحانه إخبارًا لا يتخالجـه الرَّيْب، ولا يحوم حول حماه الشك، بأنه هو الذي تولى بنفسه حفظه بحفظ دستوره (القرآن الحكيم المحكم)، فلا يدخل إلى ساحته افتراء المفترين، ولا يلج إلى حظيرة قدسه عبث الشياطين، فقال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

(الحجر: ٩)

وليتأمـل المتأملون في هذه الآيـة الحكيمة المحكمة وفي قول الله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ ﴾ (المائدة: ٤٤)

ليـروا مـا أضفى رب العـزة تبـارك وتعالى على كتابـه القرآن الحكيـم المحكم من حفاوة الاختصاص بتولي حفظه وإسـناد ما أفاضه على التوراة من فضله، فوكل حفظه إلى الربانيين والأحبار.

قال أبو حيان في البحر : وقد أخذ الله على العلماء حفظ الكتاب- أي التوراة- من وجهين، أحدهما : حفظه في صدورهم ودرسه بألسنتهم، والثاني حفظه بالعمل بأحكامه واتباع شرائعه، وهؤلاء ضيعوا ما استحفظوا حتى تبدلت التوراة، وفي بناء الفعل للمفعول، وكون الفعل للطلب ما يدل على أنه تعالى لم يتكفل بحفظ التوراة، بل طلب منهم حفظها وكلفهم بذلك، فغيروا وبدلوا، وخالفوا أحكام الله، بخلاف كتابنا فإن الله تعالى تكفل بحفظه، فلا يمكن أن يقع فيه تبديل ولا تغيير، قال تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

(الحجر : ٩)

أفلا يعقل الغرنوقيون ؟

هذه الأكذوبة الخبيثة البلهاء كانت إحدى الفرى الحاقدة التي طوفت ببعض مؤلفات الجَمَّاعين للغث والسمين، فرواها في غفلة من عقله وعلمه بعض المفسدين، وأُدخلت على بعض المحدثين مغلفة بأغلفة الأسانيد، محاطة بهالات بريق الأسماء، فرددها بأساليب مختلفة ونشرها كثير ممن تلقفها بالبله والغفلة، ورتعت في أسفار المؤرخين فأعادوا فيها وأبدوا، وزادوا ونقصوا، وأثبتوا وحذفوا، وشوهوا وزينوا، ومسخوا وحرفوا، وتلقاها القصاصون فغنوا بها، وكان إبليس هو عازف

موسيقاها في أنديتهم ومجالسهم، ومصمصت لسماع أباطيلها شفاه الجاهلين من غوغاء العامة، وعامة الغوغاء الذين تكبر في صدورهم الغرائب والأعاجيب من المضحكات المبكيات- فيهشون لها، ويتزاحمون على محافلها.

بيد أن هذه الأقصوصة الخبيثة والأكذوبة البلهاء لم تفلت من سياط النقد الممحص، فنهض إليها من الجهابذة المهرة، والحذاق العيالم من أئمة الإسلام المشهود لهم بالفضل والصدق والتبحر، والتفقه في الدين مَنْ طعنَها في أقتل مقاتلها، فبهرج زيفها، وكشف عن سوأتها، وعراها شوهاء متزندقة، وجلاها بلهاء ملحدة، وأظهرها فرية مستخبثة، ولكنها ظلت تعيش في أودية الشياطين، تتربص للوثبة، لتفسد على المجتمع المسلم حياته الإيمانية بتشكيكه في أصل أصول دينه، ودستور حياته (القرآن الحكيم المحكم) وتزعزع ثقته في صدق نبيه، سيد الأنبياء والمرسلين، محمد خاتم النبيين ﷺ ليصبح هذا المجتمع المسلم الذي اكتسح حياة الوثنية والإلحاد المشرك بهدي قرآنه وسنة نبيه ﷺ فريسةً للإلحاد الجديد على ألسنة المستشرقين والمبشرين الصليبيين واليهود السبئيين، والزنادقة الراوندييين، والمتحللين من فجار الشيوعيين الذين عجزوا عن مواقفة القرآن في مواجهة فكرية ومحاجة علمية، فلاذوا إلى الافتراء يختلقونه وإلى

الأباطيل يزرعونها في أرضه في غفلة من حراسه الغر الميامين، ليغيروا معالم هدايته، ويشوهوا حقائق دستوره، ويخلعوا عن نبيه سيد الأنبياء والمرسلين خلعة العصمة التي حفظه الله بها عن أي خطأ فيما يبلغه الرسول عن الله تعالى من الشرائع والأحكام إلى الخلق كافة، فكانت عاصمًا له ﷺ من أن يكون للشيطان عليه سبيل، والعصمة عن الخطأ فيما يبلغه الرسول عن الله تعالى ثابتة بإجماع طوائف الأمة خلفا عن سلف، لم يعرف في هذا مخالف إلا مَن أوَّل وحرَّف وبدَّل، وذلك أمره إلى الله، يتولى جزاءه بما يستحق من جزاء.

وسنحاول- بقدر الاستطاعة- أن نستوفي عرض الأقوال والآراء والمذاهب، والتأويلات والدلائل مما وقفنا عليه إثباتًا ونفيًا في أمر هذه الأقصوصة دون تقيد بترتيب خاص، حتى نكشف عن باطلها أغطية البله والغفلة، وأكنة المكر والحقد، وقد جمع الشيخ الحافظ جلال الدين السيوطي من روايات هذه الأقصوصة في كتابه (الدر المنثور) ما يكاد يكون استيعابا لها، وأتى في جمعه لهذه الروايات على أكثر ما جمعه شيخ شيوخه الحافظ ابن حجر العسقلاني في (فتحه)، والسيوطي قَصَرَ نَفْسَهُ على جمع الروايات، وإسنادها إلى من خرجها، ولم يتدخل بشيء من البحث فيما وراء ذلك من إثبات القصة أو نفيها إلا قليلاً، وهو بهذا الصنيع كان أميناً

مـع طبيعته العلمية التي ينادي بهـا تاريخه الفكري وتصوِّرُها مؤلفاته المتكاثرة.

وأمـا الحافـظ ابن حجـر فـكان موقفه مـن القصـة ممثلا لشـخصيته العلميـة التـي يضفي عليهـا تفوقه فـي الصناعة الحديثيـة هالـة من الاقتـدار والتفرد على حفـاظ عصره، مما غلب عليه العصبيةُ الصناعية، فحكَّمها في إثبات أصل القصة من جهة روايات أحاديثها وأسانيدها، وبهذه البراعة الصناعية انتهـض ليجعل من أقصوصـة الغرانيق قصة لهـا أصل حديثي يحميها من الوضع والكذب، وهذه كبوة لا ندرى ما الله صانع به من أجلها، ولعله تذكَّر وأناب.

وقد تناول هـذه الأقصوصة كثير من القدامى والمتأخرين، وكان منهـم مـن لـه دراية بصناعـة التحديث ونقـد الروايات الحديثيـة، فأجـاد في بيان زيـف جميع روايـات الأقصوصة، وما فيها من وهى ووهن ينسـفانها نسفاً، ويذريان رميمها في مهب أعاصير الأباطيل، ولكنـه كع(١٢) عن الصراحة في الرد على من أثبتها من الأكابر ذوي الشهرة والرنين، وكل أحد من النـاس يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا رسـول الله ﷺ فهو وحده المعصوم عن أن يبلغ عن الله إلا ما هو حق وهدى.

والمتأمـل في صنيـع الجهابذة مـن جند الله ومهـرة عيالم

---

(١٢) كعَّ تلكأ وجبُن. انظر العين. (المجلة).

علوم تفسير القرآن والسنة وحذاقها فقهها وتفقهها وصناعة في تزييف أقصوصة الغرانيق البلهاء وإبطالها في منابتها، واستحالة وقوعها -يجد هذا الصنيع أقوم مسلكا، وأسد منهجا، وأعمق منبعًا، وأرضى مصرفًا، وأصدق برهانًا، وأسطع حجة، وأضوأ مشرقًا، وأصفى مشربًا، وأعدل مقصدًا، وأبدع مشرعًا، وأحق متقبلاً، وأعذب مذاقًا، وأحلى موردًا، وأنجع شفاء، وأقطع لجذور الفتنة، لأنه يجمع النظر المُحْكَم من جميع جوانبه النقلية والعقلية، فلا يدع منها جانباً لغامز، ولا يترك فيها سبيلاً لقول متكذب.

ومن أعجب وأغرب ما استوقف أنظار البحث أن نجد إمامًا له اليد الطولى في علوم القرآن وتفسيره، وعلوم السنة وفنونها وسائر معارف الإسلام النقلية والعقلية، والدفاع عنها وإحاطته علماً بأقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أرباب الفرق، ومذاهب الطوائف في الملل والنحل بما لم يعرف مثله لغيره من أئمة العلم، رواية وحفظاً وتفقهًا، وغوصًا على الحقائق والمعاني، وسوقًا للأدلة والبراهين- يجنح إلى القول بثبوت قصة الغرانيق مروية عن السلف -كما يزعم- ذلك هو الشيخ الإمام ابن تيمية، كما جاء ذلك في فتاويه.

وسنسوق كلامه ونناقشه ونناقش كلمات جاءت عن القصة من كلام تلميذه الشيخ العلامة ابن القيم في كتابه (إغاثة

اللهفان)، وهي كلمات عارضة ظاهرة في القول بثبوت قصة الغرانيق لم تقصد في سياقها إلى القصة إلا تبعًا.

ثم نسوق كلام الحافظ ابن حجر في (فتحه) وادعائه أن للقصة أصلا يحميها من الوضع والكذب، ونكل مناقشته والرد عليه إلى ما يجيء في كلامنا عند عرض كلام الأئمة النافين لوقوع هذه القصة.

ومن أبشع ما وقفنا عليه في زعم ثبوت هذه الأكذوبة البلهاء كلام للشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني الكردي، وقد ساق الآلوسي في تفسيره (روح المعاني) كلام هذا الرجل وناقشه ورد عليه بما شفى وكفى، وسنقف مع كلام الشيخ الكوراني وقفة تعتمد على النظر فيما ساقه الآلوسي إثباتًا ونفيًا، مع تحقيق بعض النقاط، وتوضيح بعض المواضع.

ثم نسوق أقوال الجهابذة من أئمة الإسلام وأعلامه، وحذاق علمائه الذين أنكروا وقوع هذه الأقصوصة الباطلة، وأثبتوا أنها من المحال وقوعه في حياة سيد المرسلين محمد ﷺ وزيفوا رواياتها، وكشفوا عن خبئها وما تضمنته من شر مستطير وفساد كبير يجب أن تبرأ من شناعته ساحة الرسالة المحمدية الخاتمة الخالدة الهادية، لنسد على شياطين الإلحاد من أعداء الإسلام مداخلها لإفساد عقائد هذا الدين القيم في نفس معتنقيه وزعزعة الثقة بكتابه المبين ورسوله الأمين ﷺ.

سرد السيوطي لروايات القصة

ونبدأ – مستعينين بالله وحوله وقوته، مستجلبين توفيقه – بتقديم أكثر ما سرده السيوطي في كتابه (الدر المنثور) من روايات هذه الأقصوصة البلهاء، معقبين على ما نرى أنه في حاجة إلى التعقيب إفراغًا للحق في قالبه من أول أمره، حتى ننتهي بحول الله وقوته إلى درج هذه الأكذوبة المتزندقة في أكفانها، لنلقي بها في وجه كل منافق زنديق، أو ملحد حاقد عربيد، أو جاهل أبله من المغفلين، أو عالم يكبو به جواد الغرور الأهوج في ساحة التعصب.

وقد أورد السيوطي روايات كثيرة في أسباب نزول قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾

(الحج: ٥٢)

نذكرها بحسب ترتيبه فيما يأتي:

الرواية الأولى:

قال السيوطي:

أخرج عبد بن حميد من طريق السدي عن أبي صالح قال: قام رسول الله ﷺ، فقال المشركون: إن ذكر آلهتنا بخير ذكرنا إلهه بخير، فألقي في أمنيته

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

إنهـن لفي الغرانيـق العلا، وإن شـفاعتهن لترتجى، قال: فأنزل الله:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ (الحج: ٥٢)

الآية: فقال ابن عباس: إن أمنيته أن يسلم قومه.

هـذه رواية تنادي على نفسـها بالبطلان، فقول أبي صالح: قام رسـول الله ﷺ لا يدري ما المراد منه؟ وهو محتمل لإرادة القيـام إلى الصلاة وهـى موطن لقـراءة القـرآن، ويحتمل قام على رءوس المشـركين يدعوهم إلى الله تعالى وتوحيده وخلع الأنداد والشركاء كما هو دأبه ﷺ، ويحتمل غير ذلك. وقول أبي صالح: فألقي في أمنيته

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾

إنهـن لفي الغرانيـق العلا، وإن شـفاعتهن لترتجى، كلام ملفـق لأنه خلط بين آيـات الله تعالى المنزلـة بالوحي لتوبيخ المشركين، والتنديد بآلهتهم الباطلة، وذلك قول الله تعالى:

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾

وبيـن ما هو محض الكذب والافتراء على الله وكتابه ونبيه ﷺ وذلـك قـول الزناديـق: إنهـن لفـي الغرانيق العـلا، وإن شـفاعتهن لترتجى وجعـل هذا كله ملقى في أمنية رسـول الله

ﷺ وقد أبهم الملقي، وهذا الإبهام خدعة زنديقية للإيهام بأن هذا كله ملقى إلى رسول الله ﷺ عن طريق الوحي، ويدل لهذا أن الرواية لم تذكر تصويب جبريل لما نزل به من الوحي الصادق وهذا من أبطل الباطل وأفجر الكفر، فهذه رواية كاذبة باطلة لا تساوي عفطة عنز[١٣]، غير أن فيها شيئًا يلفت النظر، ذلك هو تفسير الرواية عن ابن عباس لأمنية رسول الله ﷺ، فقالت: فقال ابن عباس: أمنيته - أي أمنية النبي ﷺ - أن يسلم قومه، وهذا - إذا صح عن ابن عباس، وهو حبر الأمة والصحابي الوحيد الذي ذكر في روايات هذه القصة - هو البيان الذي لا محيص عنه في تفسير الأمنية، لأنها من التمني وهو محبة الشيء والرغبة في حصوله ووقوعه، ولا شك أن كل نبي أو رسول يتمنى ويحب ويشتهي ويرغب أن يسلم قومه ويستجيبوا لدعوته ويؤمنوا برسالته، وهذا التفسير يرد دعوى من زعم أن السلف (كلهم) على أن المعنى: إذا تلا ألقى الشيطان في تلاوته كما هو صريح كلام ابن القيم في (إغاثة اللهفان) وإليه جنح شيخه في الفتاوى، ولم يرد في روايات القصة تعيين أحد من السلف بأنه فسر الأمنية بالتلاوة وتمنى ب(تلا)، وهذا حبر الأمة يفسر الأمنية بحب إسلام

---

(١٣) يقولون عفطَتْ العنزُ أخرجت الهواء من أنفها، تُسمِعُ لها صوتا. وليس بالعطاس. انظر جمهرة اللغة. (المجلة).

قومه، وهو المعنى الموافق لاستعمالات اللغة وأوضاعها، والتمني بمعنى التلاوة لم يرد إلا في بيت منسوب لحسان بن ثابت في رثاء عثمان بن عفان لم يعرف له سند صحيح، وسائر من كتب سابقًا ولاحقًا لم يجدوا دليلًا لغويّا على تفسير الأمنية بالتلاوة سوى هذا البيت الذي يحتمل أنه مكذوب مصنوع، ولو كان ثمة غيره لذُكر وذاع، واستعمال القرآن الكريم للتمني في آيات كثيرة كله جاء بمعنى الرغبة والمحبة والاشتهاء، مثل قوله تعالى:

﴿ لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ ﴾

(النساء: ١٢٣)

وقوله جل شأنه:

﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾

(البقرة: ٧٨)

وقوله:

﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾

(البقرة: ٩٤)

وقوله:

﴿وَلَا يَتَمَنَّوۡنَهُۥٓ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾

(الجمعة: ٧)

فالعدول عن هذا الاستعمال الشائع إلى تمحل معنى لم يذكر له دليل لغوي إلا بيت فذ منسوب لحسان حملٌ لألفاظ القرآن الكريم على استعمال باطل أو بعيد متعسف.

ولفت النظر إلى هذا التفسير الصحيح للأمنية المذكورة في هذه الرواية لم يكن تسليماً لصحتها، وإنما هو لبيان أن مختلقي أقصوصة الغرانيق أرادوا خداع العقول بإدخال الحبر ابن عباس في سندها لإيهام صحتها، وابن عباس أعلم الناس بشعر حسان رضي الله عنهما، فلو كان بيت حسان ثابتًا عند ابن عباس لاستشهد به على المعنى المزعوم للأمنية في الآية، وكل ما استطاعه المنتحلون لبيت الشعر المنسوب لحسان أن جعلوا منه بيتين متحدي الشطر الأول، وسيأتي إن شاء الله لذلك زيادةُ تحقيق.

الرواية الثانية:

قال السيوطي:

أخرج البزار، والطبراني، وابن مردويه، والضياء في المختارة بسند (رجاله ثقات) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن رسول الله ﷺ قرأ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى، ففرح المشركون بذلك وقالوا: قد ذكر آلهتنا، فجاء جبريل فقال: اقرأ علي ما جئتك به، فقرأ (أفرأيتم

اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى فقال - أي جبريل -: ما أتيتك بهذا، هذا من الشيطان، فأنزل الله

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ (الحج: ٥٢)

إلى آخر الآية.

وهذه الرواية التي قال عنها السيوطي (بسند رجاله ثقات) معلولة بتردد الراوي في وصلها، قال أبو بكر البزار: لا نعلمه - أي هذا الحديث - يُروى متصلا إلا بهذا الإسناد: أي يوسف بن حماد، عن أمية بن خالد، عن شعبة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال سعيد بن جبير: فيما أحسبه، وهذا شك في وصل الحديث، ثم قال البزار: تفرد بوصله أمية بن خالد، وهو ثقة مشهور.

وما تفيد ثقة أمية بن خالد وشهرته والشك علة قادحة كيف يكون رواته ثقات؟

وفي هذه الرواية مخالفة لسابقتها في نص الكلمة الخبيثة المزورة، ففي الرواية السابقة جاء النص هكذا (إنهن لفي الغرانيق العلا) وفي هذه الرواية جاء النص هكذا (تلك الغرانيق العلا) وفي الرواية الأولى قام رسول الله ﷺ فقال المشركون: إن ذكر آلهتنا بخير، فألقي في أمنيته

﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾

إنهـن لفي الغرانيـق العلا ، وإن شـفاعتهن لترتجى ، هكذا متصلـة بالآيتيـن القرآنيتين قبلهـا ، وهذا يفيـد أن النبي ﷺ قـرأ هاتين الكلمتين الخبيثتين متصلتين بآيتي القرآن الكريم علـى أنهما قرآن نزل به الوحي ، واعتقد ذلك ، ولم ينزل عليه جبريـل لتصويب الوحـي وإبطال مـا عداه مـن كلام الزنادقة الأخبثين ، وإنما نزلت الآية لتبين سـنة من سنن الله في أنبيائه ورسله ، وتسليط الشـيطان عليهم حتى يتقولوا على الله ما لم يقلـه لهم ، وفي الروايـة الثانية التي زعم السـيوطي ثقة رجال سندها أن ابن عباس قال : قرأ رسول الله ﷺ :

﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾

(النجم : ١٩ ، ٢٠)

تلـك الغرانيق العلا ، وإن شـفاعتهن لترتجـى ، هكذا متصلة بآيتـي القـرآن الحكيم قبلهما ، وأن النبي ﷺ هـو الذي قرأ ذلك فخلط بين ما نزل عليه الوحي ، وبين ما لم ينزل به ، وإنما هو من الكـذب الخبيث ، فالروايتان - موثوقة السـند في زعم موثقيها ، ومهملة التوثيق - متفقتان على التقول على رسول الله ﷺ أنه قرأ آيتي القرآن الحكيم في ذم الأوثان ، وتوبيخ الوثنيين المشركين ، وأنـه وصلهما بالكلمـة الكاذبة الخبيثة في مـدح الأوثان ! وهذا أكذب الكذب على رسـول الله ﷺ ، يتبوأ متقوله مقعده من النار ،

وقد خلت الرواية الأولى من ذكر مجيء جبريل عليه السلام لتنبيه النبي ﷺ على ما زُعم عليه أنه أدخل في كلام الله ما ليس منه، تصحيح النص القرآني كما جاء في الرواية الثانية من أن جبريل جاء إلى رسول الله ﷺ، وقال له: اقرأ علي ما جئتك به، فقرأ عليه آيتي الأوثان الموبختين للمشركين، ووصلهما بما زعم من الكلمتين الخبيثتين في مدح الأوثان، فنبهه جبريل عليه السلام أنه ما جاءه بهاتين الكلمتين الكاذبتين، وبين له أنهما ليستا من القرآن، وقال له: ما أتيتك بهذا، هذا من الشيطان.

وهذا كله يقتضي بداهة أن هذه الرواية الباطلة - كسابقتها - تنسب إلى سيد المرسلين محمد ﷺ أنه لم يميز بين كلام الله تعالى الحكيم المحكم، وكلام الشيطان الكذوب المضلل، وأنه ﷺ مكث على اعتقاد قرآنية كلام الشيطان حتى جاءه جبريل عليه السلام فنبهه وبيَّن له أن هذا من الشيطان، وهذا أبشع الافتراء على الله ورسوله، افتراءٌ يهدم الرسالة من أساسها، والرواية الأولى مثل أختها في البطلان تقتضي ما اقتضته وتزيد عليها أنها خلت من تنبيه جبريل، فأي ثقة تبقى بعد ذلك في أي نص من آيات القرآن الحكيم المحكم؟ لأن الاحتمال قائم في كل نص، لا سيما على الرواية الأولى حيث لا تنبيه من ملك الوحي على صحة النص المنزل من عند الله، ولو ذكر التنبيه لاحتمل، فلا يرفع المحذور.

الرواية الثالثة:

قال السيوطي:

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه (بسند صحيح) عن سعيد بن جبير قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة [سورة] النجم، فلما بلغ هذا الموضع

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى، قالوا - أي المشركون الوثنيون-: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا، ثم جاء جبريل بعد ذلك قال: اعرض علي ما جئتك به، فلما بلغ: تلك الغرانيق العلا، وإن شفاعتهن لترتجى، قال له جبريل: لم آتك بهذا، هذا من الشيطان.

وهذه الرواية التي يقول عنها السيوطي: إنها جاءت (بسند صحيح) هي نفس الرواية التي ثبت فيها الشك في وصلها عن ابن عباس - فيما يظهر - والشك - كما قدمنا - علة قادحة تمنع صحة الرواية، وهي مستلزمة - بداهة - أن الشيطان استولى على رسول الله ﷺ فألقى على لسانه هاتين الكلمتين الكاذبتين الخبيثتين في مدح الأوثان، بعد ذم القرآن لها، وتقريع عابديها من الوثنيين المشركين، وأنه

ﷺ وهو المبلغ عن الله رسالاته لم يميز هذا البهتان الشيطاني من الـكلام الإلهي، وتَقَوُّل هذا يسـلُب رسـول الله ﷺ أخص خصائصه البشرية أولًا - في معرفته بخصائص القرآن الحكيم الأسـلوبية وحقائقـه المعنويـة وأهدافه في الهدايـة التي نزل لتوطيـد دعائمهـا، كما يسـلب عنه نعوت النبـوة وحقيقتها ومـا يجب لها من عصمة مَنْ وجبت لـه منذ أول لحظة ثبوتها بالوحي من الله.

فما قيمة زعم (صحة السند) مع هذه الإلزامات المكفرة؟ فهـذه الروايـة باطلة كاذبـة فيما تقولته على رسـول الله ﷺ، ولا عبـرة بصحة سـندها - إذا ثبتت هـذه الصحة كيف ودون صحة سـندها تناول نجوم السـماء بأكف المشـلولين - إنها روايـة ترفع الثقة عن آيات القرآن الحكيم، وتذهب بخصيصة إعجـازه البيانـي الـذي أدركه أجـلاف العرب فسـجدوا عند سماعه، إعظامًا لبلاغته، وهم لم يؤمنوا به فإذا كان رسول الله ﷺ وهو أفصح البشر، وأقوم الخلق بفهم إعجاز القرآن، وهو ﷺ القيم على تنزيله وتبليغه وحفظه من التحريف والتبديل، الحفيـظ على نصه ونظم تأليفـه، العليم بحقائقه وهدايته، - لا يميز بيـن كلمات هذا الكتاب الحكيـم وآياته، وبين غثاء الشـياطين وافترائهم، فمن إذن بقي من الخلق إنسهم وجنهم وملكهم وراء ذلك ليحفظ على هذا الكتاب الحكيم المُحْكَم

مقومات صدقة، ودلائل إعجازه، ومعرفة هديه وبراعة أسلوبه، وتميز معانيه وحقائقه؟

وليست صحة السند - إذا سلمت - دليلًا على صحة ما يروى من الشرائع والأحكام، لا سيما ما يتعلق منها بالعقيدة وإنما يكمن وراء صحة السند صحةً كاملةً النظرُ الممحص في صحة المتن، واستقامة النص على نهج الهداية وموافقة أصول الرسالة الخاتمة الخالدة، ومعرفة ما للقرآن من قداسة توجب ألا يقبل أسلوبه ونظمه، وحقائق هدايته، ومعانيه التشريعية أن يدخل فيه ما ليس منه، ولا أن ينقص من آياته أو كلمه أو حروفه ما هو منه، ومعرفة ما للنبي ﷺ من عصمة توجب ألا يتقول على الله شيئا، لا سهوًا ولا عمدًا، أو يقبل أن يتقول على الله تعالى ما لم يقل، وقد قال الله تعالى:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾

(الحاقة: ٤٤ - ٤٦)

وهذا تهديد مرعب بلغ ذروة الوعيد، والزجر على وقوع تقول شيء - أي شيء على الله - والمراد منه تنزيه ساحة النبي ﷺ عن وقوع مثله، قطعًا لأطماع الكافرين الوثنيين الذين كانوا يعنتون النبي ﷺ بمقترحاتهم العنادية، بغيًا وعتوًّا، وفجورًا في الكفر والضلال.

الرواية الرابعة:

قال السيوطي:

أخرج ابن جرير وابن مردويه عن طريق العوفي عن ابن عباس أن النبي ﷺ بينما هو يصلي إذ نزلت عليه قصة آلهة العرب، فجعل يتلوها فسمعه المشركون فقالوا: إنا نسمعه يذكر آلهتنا بخير، فدنوا منه، فبينما هو يتلوها، وهو يقول:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

ألقى الشيطان [في قلبه]: أن تلك الغرانيق العلا، منها الشفاعة ترتجى، فعلق يتلوها، فنزل جبريل فنسخها، ثم قال:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

(الحج: ٥٢).

وهذه الرواية تحمل دلائل بطلانها وكذبها في كل كلمة من كلماتها، فهي قد جعلت وقوع أقصوصة الغرانيق في حال تلبس النبي ﷺ بالصلاة، وأن الشيطان تسلط عليه وألقى إليه كلمتي الكفر الفاجر وهو يصلي، وأنه ﷺ علق بهما يتلوهما

بعد آيات من القرآن في ذم آلهة الوثنيين وتوبيخهم على اتخاذ هذه الأوثان شـركاء لله تعالى، معتقدًا أن هذا الكلام المفترى فـي خبثـه وكذبه وظهور ضلالـه قرآن مُنزل مـن عند الله، ولم يميز بين افتراء الشيطان، وكلام الله الحكيم العليم حتى نبهه جبريل بنسخ كلام الشيطان.

والتعبير بالنسـخ هنا إمعان في التضليـل، لوروده في قوله تعالى:

﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِى ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾

(الحج: ٥٢)

وهـذا من الإيهام لحمل النسـخ في الآية علـى إزالة ما ألقى الشـيطان في قـراءة النبـي ﷺ بزعـم أن الأمنية هـي التلاوة والقـراءة، وهو المعنى البعيد - إذا صح أن الأمنية اسـتعملت فيـه لغـة - وهـو ممـا لا دليـل عليه سـوى بيت الشـعر الفذ المنسـوب إلى حسـان بـن ثابت، ثـم إن هـذه الرواية جاءت بالكلمتين الكاذبتين الخبيثتين في أسـلوب مغاير لأسلوبهما فـي الروايـات السـابقة، مما يـدل علـى الكـذب والتضليل والاضطراب.

وكل ذلـك يسـتلزم رفـع الثقـة بآيـات القـرآن الحكيـم، ويسـلب النبي ﷺ حسـه ببلاغة وبراعة بيانه الـذي يباين به كل كلام سـواه، ويسـلبه العصمة عن التقول علـى الله تعالى

مـا لـم يقل، ممـا يوجـب بطلانهـا وكذبهـا، وأن القصة من وضـع الزنادقة وخبثاء اليهود وملاحدة المنافقين، وفي سـند هـذه الروايـة العوفي، وهو كما يقول عنـه الحافظ ابن حجر: صدوق، يخطئ كثيرًا، شيعي مدلس.

الرواية الخامسة:

قال السيوطي:

وأخرج ابن مردويه عن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وعن طريق أبـي بكر الهذلي، وأيوب عن عكرمة، عن ابـن عباس رضي الله عنهما، وعن طريق سـليمان التيمي عمن حدثـه عـن ابن عباس أن رسـول الله ﷺ قرأ سـورة النجم وهو بمكة فأتى على هذه الآية:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

فألقى الشيطان على لسانه إنهن الغرانيق العلى، فأنزل الله:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

(الحج: ٥٢)

وهذه الرواية واهية السـند في طريقها الأول؛ لأنها تعتمد

على الكلبي الكذاب، عن أبي صالح الذي صرح الكلبي بأن كل ما حدث به عنه فهو كذب، وأبو صالح الذي يروي عنه الكلبي، عن ابن عباس لم ير ابن عباس كما يقول ابن حبان، وفي طريقها الثاني تعتمد على من لم يسم، وفي طريقها الثالث تعتمد على أبي بكر الهذلي، الذي قال عنه الحافظ ابن حجر في (تقريب التهذيب) : إخباري متروك الحديث، وقرن أيوب به - ولو كان السختياني - لا يفيد؛ لأن الحافظ ابن حجر بعد أن ساق الرواية بطرقها الثلاث في (الفتح) قال: وكلها ضعيف أو منقطع، مما يدل على أن هذا الطريق لا يصلح للاحتجاج بروايته.

وإذ قد ثبت زيف سند هذه الرواية فمتنها منكر زائف؛ لأن فيه أن الشيطان تسلط على رسول الله ﷺ وألقى على لسانه كلماته الخبيثة الكاذبة، ولا شك أن هذا باطل، بل محال؛ لأنه يناقض مقصود النبوة، ويبطل العصمة التي هي دعامة الثقة فيما يبلغه الرسول عن الله تعالى.

الرواية السادسة:

قال السيوطي:

أخرج عبد بن حميد وابن جرير من طريق يونس عن ابن شهاب، حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أن رسول الله ﷺ وهو بمكة قرأ سورة النجم فلما بلغ

﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴾
(النجم: ١٩، ٢٠)

قال: إن شفاعتهن ترتجى، وسها رسول الله ﷺ ففرح المشركون بذلك، فقال: ألا إنما كان ذلك من الشيطان، فأنزل الله:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾

حتى بلغ

﴿عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴾

(الحج: ٥٢ - ٥٥)

قال السيوطي: (مرسل صحيح الإسناد) وهذا التعقيب لن يخدع أحدًا من أهل العلم راسخي الإيمان، المتفقهين في دين الله، فصحة الإسناد وحدها ليست جوازًا لمرور متن الحديث إلى ساحة القبول، والعمل به، واعتقاد معانيه، والإيمان بهذه المعاني التي يفيدها والحقائق التي يقتضيها.

والمتأمل في هذه الرواية نصًا وروحًا وسندًا يرى دلائل بطلانها تلوح على كل كلمة منها، فهي أولًا مرسلة السند، والإرسال - ولا سيما في العقائد - موطن ضعف لا يقبل إلا في الأحكام الفرعية عند مَن يقول بقبول المرسل، فإذا تخطينا السند وجدنا هذه الرواية تُقوِّل النبي ﷺ أنه هو

الـذي أدخل الكلمة الكاذبة الخبيثـة – وهي إحدى كلمتين قامت عليهمـا الأقصوصة الزندقية – علـى كلام الله تعالى، ومزجهـا به علـى أنها منـه وحيًا مـن الله تعالـى، إذ تقول: قال: إن شـفاعتهن ترتجى، ثم تعتذر الرواية عن هذا التقول على رسـول الله ﷺ فتقول: وسـها رسـول الله ﷺ ولم تبين موطـن السـهو، هل كان قبـل زعمهم أنه قـال، أو بعده؟ ثم تقول: ففرح المشـركون بذلك، فقـال: (ألا إنما كان ذلك من الشـيطان) وهـذا من أبطـل الباطل، وأكـذب الكذب؛ لأن النبـي ﷺ يسـتحيل عليه – وهو المعصـوم – أن يمدح الأوثان، ويدخل هذا المدح في آيات القرآن؛ لأن مجرد مدح الأوثـان أكفر الكفر، وأخبث الشـرك، فضـلًا عن جعل هذا المـدح قرآنا أوحي إليه، لظهور مناقضة ذلك لأعظم مقاصد الرسـالة؛ لأن النبي ﷺ لم يرسـل إلا لاقتـلاع جذور الوثنية وإبطـال الشـرك بجميـع ألوانه ومظاهـره، فكيـف يتقول علـى الله في وحيه وقرآنه أنه مدح الأوثـان، وقال بُعيْد ذمها وتوبيخ عابديها: إن شـفاعتهن ترتجـى، وهذا كل ما يقوله المشـركون من الكفر الذي جاءت رسالة محمد ﷺ لهدمه وإزالة معالمه من الحياة.

فالمشـركون الوثنيون لا يدعون لألهتهم الإحياء والإماتة، ولا الخلـق والرزق، وأمثـال ذلك من عظائم خـواص الإلهية،

وإنما يدَّعون أن أوثانهم تشفع لهم عند الله، وأنها تقربهم إلى الله زلفى، كما حكى القرآن عنهم ذلك في قوله:

﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾

(يونس: ١٨)

وفي قوله:

﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾

(الزمر: ٣)

ولا يحمي هذه الرواية الكاذبة الباطلة عن طرحها في هاوية الوضع الزندقي في الكذب قول راويها: وسها رسول الله ﷺ؛ لأن السهو فيما يبلغه الرسول عن الله ولا سيما في أصل أصول الإيمان - لا يجوز ولا يقع قط من الرسول لأنه يناقض المقصود من تصديقه بالمعجزة، وهذه الرواية الباطلة تُقوِّل رسول الله ﷺ أنه قال عقب تلاوته مباشرة قول الله تعالى في ذم الأوثان وتقريع عابديها من أحلاس الوثنية وغثاء الشرك(١٤):

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

أن شفاعتهن ترتجى، وأن المشركين سمعوا منه ذلك

(١٤) أحلاس الشرك الذين لا ينفكون عنه. الحِلس ما يُطرح على ظهر الدابة، وما يبسط في البيت من حصير ونحوه، ويستعار للملازمة، يقال هو من أحلاس البلد، أي لا يفارقها. (المجلة).

ففرحوا توهمًا أنه مدح آلهتهم، وهذا التقويل لرسول الله ﷺ هو أفجر الكفر وأخبث الكذب، وأيضًا لا يحمي هذه الرواية الباطلة من طرحها في هاوية الأكاذيب قول راويها: إن الرسول ﷺ قال - بعد أن رأى فرح المشركين بمدح أوثانهم -: ألا إنما ذلك كان من الشيطان؛ لأن مجرد نسبة التقويل إلى رسول الله ﷺ بأنه قال على الله ما لم يقل، بنسبة قول الكلمة الخبيثة إليه كفر صريح، يزلزل الثقة في آيات القرآن، ثم ما الذي يثبت أن ما قالوه على لسان رسول الله ﷺ: ألا إنما ذلك كان من الشيطان ليس من قبيل السهو أيضًا؟ وعند ذلك تبقى الكلمة الخبيثة من غير نفي، وترتفع الثقة في كل ما يقوله رسول الله ﷺ بعد ذلك. فهذه الرواية باطلة متكذبة على رغم ادعاء صحة سندها المرسل.

الرواية السابعة:

قال السيوطي:

أخرج ابن أبي حاتم عن طريق موسى بن عقبة عن ابن شهاب، وأخرجه البيهقي في الدلائل عن موسى بن عقبة ولم يذكر ابن شهاب، وأخرجه الطبراني - في الكبير - عن عروة مثله سواء. واللفظ عن رواية ابن أبي حاتم التي صدر بها السيوطي قال: لما أنزلت سورة النجم كان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقررناه وأصحابه، ولكن لا يذكر

مـن خالف دينه من اليهود والنصارى، بمثل الذي يذكر آلهتنا من الشـتم والشر، وكان رسـول الله ﷺ قد اشتد عليه ما ناله وأصحابـه من أذاهـم، وتكذيبهم، وأحزنتـه ضلالتهم، فكان يتمنى كف أذاهم، فلما أنزل الله سورة والنجم قال:

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ (النجم: ١٩، ٢٠)

ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الطواغيت، فقال: وإنهـن لهن الغرانيق العلى، وإن شـفاعتهن لهي التي ترتجى، فكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة وذلقت بها ألسنتهم، وتباشروا بها، وقالوا: إن محمدًا قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه. فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر النجم سجد وسجد كل من حضر من مسلم ومشـرك، ففشـت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشـيطان حتى بلغت أرض الحبشة، فأنزل الله

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ (الحج: ٥٢)

فلمَّـا بين الله قضـاءه، وبرأه من سـجع الشـيطان، انقلب المشركون بضلالتهم وعداوتهم للمسلمين، واشتدوا عليه.

هذه الرواية لا يعنينـا منها في البحث إلا ذكرها لأقصوصة الغرانيق الكاذبة الباطلة، وقد ذكرت أن النبي ﷺ لما أنزل الله عليه سـورة النجم قرأ في آياتها قـول الله تعالى موبخًا لعابدي الأوثان:

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

وكان معروفـًا عنـه ﷺ بغضه للأصنام والأوثان، وتسـفيه عقـول عابديها مـن دون الله تعالى، فكان ذلك مما يباعد بينه وبيـن قومه لعتو كفرهم وعنادهم وتأبيهـم عن الانقياد للحق والإيمـان بما جاءهم بـه من الهدى والنور، وكان ﷺ شـديد الحرص علـى إدخالهم في حظيرة الإيمـان، يتمنى هدايتهم، وكف أذاهم عنه وعن أصحابه، فلما أنزل الله تعالى عليه سورة النجـم، وفيها ذكـر طواغيتهم قالت الرواية: ألقى الشـيطان عندهـا - أي عند ذكرهـا مذمومة في آيات القـرآن - كلمات فقـال: وإنهن لهن الغرانيـق العلى، وإن شـفاعتهن لهي التي ترتجى، قال راوي الأقصوصة: فكان ذلك من سـجع الشيطان وفتنتـه، فوقعـت هاتان الكلمتان في قلب كل مشـرك بمكة، وجرت بها ألسـنتهم يلهجون بتردادها مستبشـرين فرحين، وهذا يدل على أن الرواية تتقول على رسـول الله ﷺ أنه قرأها متصلة بآيتي ذم الأوثان والطواغيت

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾
(النجم: ١٩، ٢٠)

فتوهم أحلاس الوثنية أنها قرآن نزل به الوحي على رسول الله ﷺ، ففرحوا وقالوا: إن محمدًا قد رجع إلى دينه الأول، ودين قومه - كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا - وفشت كلمة الشيطان الخبيثة الفاجرة في أهل مكة، وأظهرها الشيطان وذاعت حتى بلغت أرض الحبشة، وبلغ المسلمين المهاجرين الأولين إلى الحبشة أن قومهم استجابوا للإيمان وهدأ ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وكانت الفتنة قد أطلت برأسها في أرض الحبشة، ورأى المسلمون المهاجرون أن ينجوا بأنفسهم من شر هذه الفتنة التي وقعت بين ملك الحبشة وشعبه، وشجعهم ذيوع كذبة إيمان قومهم، وكفهم أيديهم عن أذى رسول الله ﷺ وأذى أصحابه، فتحملوا للعودة إلى وطنهم وعشائرهم، حتى بلغ منهم من بلغ مكة، أو قريبًا منها، فوضحت لهم الحقيقة وأن إيمان قومهم أكذوبة نفخ الشيطان فيها فترامت إليهم، ووجدوا قومهم على أشد مما كانوا فجورًا وكفرًا وإيذاء لرسول الله ﷺ ولأصحابه، فدخل من دخل مكة في جوار، ولكن المشركين، زادوا شرًا واستشرى الإيذاء، لا سيما للوافدين من الحبشة، فتسللوا عائدين إلى مهاجرهم وصحبهم وتبعهم كثير من أهل الإيمان

من أبنـاء قريش وغيرهم حتى كانوا في الحبشـة جمعًا أخاف قريشًا ، فأرسلت خلفهم رسلها لتردهم إليها ، ولكن النجاشي أبى عليهم ذلك وسـمع من المسـلمين القرآن وآمن وآمن معه بطاركتـه ورهبانـه وكثير من قومه ، وراسـل النبي ﷺ بإيمانه وهداياه ، وفتـح الله تعالى باب الهجرة إلـى المدينة ، فكانت نصرًا وفتحًا مبينًا ، أيد الله بها دينه وأعز نبيه ﷺ والمؤمنين ، وعـاد مهاجرو الحبشـة آمنيـن مطمئنين إلى الله وإلى رسـوله فوجدوا الفتح والنصر يستقبلهم .

وهذه الرواية الكاذبة الباطلة تتفق مع أخواتها من الروايات الكاذبات في أن الشـيطان اسـتحوذ على النبي ﷺ وألقى إليه عند ذكر الطواغيت هاتين الكلمتين الخبيثتين ، وأن النبي ﷺ تلاهمـا عقب آيتي ذم الأوثان مُدخـلاً إياهما في وحي القرآن ، وسمعهما المشركون وفرحوا وتباشـروا . وتزيد هذه الرواية الباطلة على كذب أخواتها في التقول على رسـول الله ﷺ أنه كان على دين قومه من الشـرك والوثنية – وحاشاه ﷺ – فهو الطاهـر المطهر الذي لم يعرف عنه قط في حياته منذ ولد إلى أن شـرفه الله تعالى بنبوته ورسـالته أنه كان على دين قومه من الشـرك والوثنية ، ولا عرف عنه قط أنه مالأ قومه في شـيء من عقائدهم الفاسـدة الباطلة وعاداتهم الوثنية المسـتقبحة ، بل الذي عرف عنه ﷺ واشـتهر به أنه كان أبعد الناس من عقائد

قومه وعاداتهم الجاهلية، وأنه اعتزلهم واعتزل محافلهم ومواسم أعيادهم، فلم يحضر لهم مشهدًا، ولم يكثر لهم سوادًا، وانفرد عنهم بنشأته الطاهرة المطهرة، التي لم يقارف فيها إثمًا جاهليًا، في عقيدة أو خلق أو سلوك، وقد اشتهر بين قومه بالصادق الأمين حتى بعثه الله تعالى بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين.

الرواية الثامنة:

قال السيوطي:

أخرج سعيد بن منصور، وابن جرير عن محمد بن كعب، ومحمد بن قيس قالا: جلس رسول الله ﷺ في ناد من أندية قريش كثير أهله فتمنى يومئذ ألا يأتيه من الله شيء، فيتفرقوا عنه، فأنزل الله عليه

﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (النجم: ١)

فقرأها رسول الله ﷺ حتى بلغ

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

ألقى الشيطان عندها كلمتين: تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى، فتكلم – أي النبي ﷺ – بها، ثم مضى فقرأ السورة كلها، ثم سجد في آخر السورة، وسجد القوم

جميعًا معه ورضوا بما تكلم به، فلما أمسى أتاه جبريل فعرض عليه السورة، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ما جئتك بهاتين الكلمتين، فقال رسول الله ﷺ: (افتريت على الله، وقلت ما لم يقل) فأوحى الله إليه:

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ﴿٧٣﴾ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا﴾

(الإسراء: ٧٣- ٧٥)

فما زال مغمومًا مهمومًا من شأن الكلمتين حتى نزلت:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾

(الحج: ٥٢)

فسرِّي عنه وطابت نفسه.

هذه الرواية تخالف في سياقها وأسلوبها ما سبقها من الروايات، بيد أنها تشتمل على ما اشتمل عليه غيرها من الروايات الكاذبة الباطلة، فهي تقول: إن النبي ﷺ جلس في ناد من أندية قريش، وهو حافل بطواغيتهم من عتاة الكفر،

وأحـلاس الوثنية والشـرك، فتمنى ﷺ راغبًا إلـى ربه ألا يأتيه منه شيء ينفرهم عنه، ويزيد التباعد بينه وبينهم لحرصه ﷺ علـى إيمانهم، لما جبلـه الله عليه من الرأفـة والرحمة لعموم الخلق، فأنزل الله تعالى عليه سـورة ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ وفيها الحفاوة به ﷺ، وتعظيم شـأنه وشأن ما ينزل عليه من الهدى والرحمة، ليظهر للمعاندين من طغاة الشرك أنه ﷺ إنما يدعو إلى الله بوحيه، ويبلغ رسالته بأمره، وأن ما يدعون من دون الله إشـراكًا به سـبحانه إنما هو ضلال بين، وشرك فاجر، لا يقره عقل، ولا نزل به من الله سلطان، فقرأ عليهم ﷺ ما نزل عليه من آيات هذه السورة حتى بلغ قوله جل شأنه:

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

ألقى الشـيطان الكلمتيـن الفاجرتين في مـدح أصنامهم، فتكلم بهما رسول الله ﷺ.

وهنـا يقف القلم مدهوشًـا مذهولًا متسـائلاً: كيف كانت اسـتجابة الله تعالـى لتمني نبيـه وحبيبه، وشـدة حرصه على إيمـان قومـه وألا يأتيـه من ربه مـا ينفرهم عنـه، ويباعد بينه وبينهم من شـدائد الوحي بتسـفيه أحلامهم، وتحقير آلهتهم بهـذه الصورة الكافرة الفاجـرة الغريبة التي لا يمكن توقعها؟ هـذا من أمحـل المحال وأبطل الباطل؛ لأن النبي ﷺ اشـتهى

موقفًا سلبيًا ورغب في هدنة تمكنه ﷺ من أن يجد من قومه أنسًا إليه، يستمعون إلى ما جاءهم به من الهدى والنور، عسى أن يكون في ذلك وسيلة إلى انفتاح قلوبهم وعقولهم لينظروا ويتأملوا وهم في مهلة من الإثارة والاستفزاز.

كان الموقف يتطلب أن يجاب تمني النبي ﷺ واشتهائه عدم تنفيرهم من سماع الحق الذي أرسل به، بأن لا ينزل عليه من شدائد الوحي ما يزيد التنافر والتباعد، لا أن يُجاب بتسليط الشيطان عليه وتخلي العناية الإلهية عنه، فيقرئه الشيطان في ثنايا وحي الله إليه كلمات كافرة فاجرة، تمدح الأوثان، وتهدم أصل ما جاء به من التوحيد، وتجعل تلك الأوثان مرجوة الشفاعة، وهذا هو كفر المشركين الذي جاءت الرسالة لهدم بنيانه، واستئصال شأفته من الوجود.

لكن هذه الرواية الكاذبة الباطلة لا تستحي أن تقول: إن الشيطان ألقى الكلمتين الخبيثتين، وأن النبي ﷺ تكلم بهما في ثنايا ما أوحي إليه من آيات ربه في تحقير هذه الأوثان، وتسفيه أحلام عابديها، والعاكفين عليها من سفهاء المتعاقلين ومردة الوثنية على أنهما قرآن نزل إليه، ووحي من الله أتى إليه، دون أن تبدو منه ﷺ أية بادرة في إنكار هاتين الكلمتين الفاجرتين، بل مضى يتلوها مع آيات السورة حتى ختمها ثم سجد وسجد القوم جميعًا معه، ورضي الكافرون بما

تكلم به من هاتين الكلمتين الفاجرتين الخبيثتين، وفرحوا إذ رأوا في ذلك أن محمدًا ﷺ يمدح آلهتهم ويثبت لها شفاعة لهم، وهذا أقصى ما كانوا يتطلعون إليه ويرجونه من إبطال رسالة محمد ﷺ، وتدعيم الشرك والوثنية.

ومضى من الزمن والله تعالى أعلم بقدره، والنبي ﷺ - في زعم هذه الأخلوقة - على اعتقاد أن هاتين الكلمتين مما أنزل الله عليه في وحيه بآيات القرآن الحكيم، ولم يتنبه ﷺ، لا من سياق الكلام، ولا سيما في معنى الكلمتين الشيطانيتين من كفر وفجور حتى جاءه ملك الوحي جبريل عليه السلام، واستقرأه ما جاءه به من آيات السورة فقرأ ﷺ حتى بلغ الكلمتين الشيطانيتين، وقرأهما على أنهما مما نزل عليه من وحي الله تعالى، وعندئذ قال له جبريل: ما جئتك بهاتين الكلمتين، فأُخذ النبي ﷺ وأصابه ما أصابه من هول الصدمة - فيما تزعم هذه الأبطولة - وقال يؤنب نفسه ويلومها: افتريت على الله، وقلت ما لم يقل، وهذا التصوير الروائي الكذوب يقتضي - بداهة - أن النبي ﷺ وهو القيم على كتاب الله تعالى، وفهم مقاصده وأحكامه، وأسلوبه وبراعة بيانه واتساق نظمه، وبلوغه في استقامة معانيه الذروة، لم يفرق بين كلام الله تعالى المعجز بهدايته وحقائقه ومعانيه، وأسلوب نظمه واتساق سياق آياته وبراعة بيانه وتمييز

مقاصده، وبين كلام الشيطان في كفره وفجوره، وإفساده وإضلاله، وهلهلة تلفيقاته، وأنه ﷺ مضى في السورة - وهي ليست من قصار السور في القرآن - يقرؤها ويقرأ مع آياتها هذا الغثاء الأحوى، والعصف المطروح في مساقط أقدام الشرك الوضيع، فلم يميز بين ما هو مدح للأوثان في هاتين الكلمتين الفاجرتين الكاذبتين، وبين ما هو ذم لها وتوبيخ لعابديها، وتقريع للعاكفين عليها في سياق الآيات وسباقها ولواحقها في قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾

(النجم: ١٩ - ٢٣)

فكيف استقام عقلاً، وذوقًا، أن يأتي مدح الأوثان بما هو أعلا مقاصد مدحها - في نظر عابديها من المشركين - وبين ما هو ذمها وتوبيخ متخذيها آلهة؟ وكيف استقام عقلاً ومعرفة بحياة محمد ﷺ وبلوغه قمة الفصاحة والبلاغة أن يتوهم في حقه كإنسان عربي قرشي، تربى في أفصح قبائل العرب أن يتقبل ذوقه البياني إدخال هذه الهلهلة بين أوثق الكلام فصاحة وأبرعه بلاغة، ويلبس عليه أنها منه بسبيل؟.

هذا هو الباطل المنفوش الذي لا يستقيم على قبوله وتصديقه عقلٍ أقل الناس حظًا من التعقل، ولا يستقيم به ذوق أحط الناس تذوقًا للكلام ونسقه وباتساق نظمه؟ فكيف استقام لدى عقل وذوق سيد العقلاء، وأذوق الذائقين لبلاغة الكلام وبراعة البيان محمد ﷺ، حتى أُدخل عليه بين آيات القرآن الحكيم المحكم - فيما تزعمه هذه الأكذوبة - هاتان الكلمتان الزريتان بعقل العقلاء، اللتان ألقاهما الشيطان في قراءته حين أقرأه جبريل أمين الوحي سورة (والنجم إذا هوى)؟.

ثم تمعن هذه الرواية في خوض غمرات الباطل ممتطية أوهام الأكاذيب فتقول: إن الله تعالى أوحى إلى رسوله ﷺ بعد أن كشف له جبريل عليه السلام أنه ما جاءه بهاتين الكلمتين الكافرتين، وأنه ﷺ تنبه بتنبيه جبريل له، فجعل يلوم نفسه لومًا شديدًا، واستولى عليه الغم والحزن لما وقع منه - في زعم هذه الأبطولة -

﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾

(الإسراء: ٧٣ - ٧٥)

وهـذا افتراء علـى الله تعالى، وعلى رسـوله ﷺ؛ لأن قوله تعالى:

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾

(الإسراء: ٧٤)

صريح في تبرئة ساحته ﷺ عن مقاربة الركون إليهم فضلاً عـن وقوع الركون؛ لأن جواب (لولا) يقتضي إذا كان مثبتًا – كما هنا – امتناع وقوعه لوقوع شرطه، أي يستلزم عدم وجوده لوجـود شـرطه، فمقاربة الركـون إليهم لم تقـع منه ﷺ، ولا شمت رائحة الوجود الخارجي، فضلًا عن وجود الركون ذاته؛ لأنه ﷺ مقطوع بعصمته عن ذلك بإجماع عقلاء المسلمين.

قال الزمخشري في كشافه: ولولا أن ثبتناك وعصمناك لقد كدت تركن إليهم، أي لقاربت أن تميل إلى خدعهم ومكرهم، وهذا تهييج من الله له، وفضل تثبيت.

وقال أبو حيان في بحره: إن ابن عباس رضي الله عنه قال في تفسـير الآية: كان الرسـول ﷺ معصومًا، ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشـركين في شيء من أحكام الله وشرائعه.

وقـال البيضاوي في أنـواره: والمعنى أنك كنت على صدد الركـون إليهم لقوة خدعهم وشـدة احتيالهـم، لكن أدركتك عصمتنـا فمنعـت أن تقرب إليهـم، وهو صريح فـي أنه عليه

الصلاة والسلام ما هَمَّ بإِجابتهم، مع قوة الدواعي إليها عندهم.

هذه أفهام حذاق أهل القرآن في تفسير آياته، وهي نماذج لما وراءها وما قبلها مما لم نذكره، ولكن البله الذين يتكثرون بالروايات، ولا يعقلون ما يصح أن يُقال منها وما لم يصح أن يُروى، لا ترتفع مداركهم إلى منازل حماة الإِسلام ونبي الإِسلام ﷺ المعصوم، بل هم في شغل عن فقه الحقائق بتجميع الروايات.

ألا سأل هؤلاء المتكثرون في الروايات أنفسهم: كيف يصح في عقول العقلاء ما حرفت به هذه الرواية الباطلة الكاذبة من تقولها أن رسول الله ﷺ أدخل بهتان الكلمتين الخبيثتين اللتين ألقاهما الشيطان في آيات القرآن الحكيم، وأنه ﷺ قرأهما على أنهما من آيات الله المنزلة عليه، ومضى في قراءة السورة حتى ختمها وسجد من كان موجودا معه حين قراءتها، واستمر على اعتقاد أنهما من آيات السورة المنزلة من عند الله حتى نبهه جبريل أنه لم يأته بهما، فاغتم رسول الله ﷺ وحزن، وجعل يلوم نفسه، وأنه قال على الله ما لم يقل؟ ثم تنزل هذه الآيات الثلاث المبرئة لساحته، المنزهة عن التقول على الله لتخبر أنه ﷺ قد عصمه الله تعالى عن قرب الركون إلى المشركين؟.

وهل أبلغ في الركون إلى هؤلاء المشركين مما تقولته هذه

الرواية المختلقة من أنه ﷺ قبل ما ألقاه الشيطان من مدح آلهة المشركين وأوثانهم، وتكلم به، وظل على اعتقاد أن هذا المدح الكفور لأوثان المشركين كان مما أنزل عليه من آيات السورة حتى أخبره جبريل أنه لم يجئه بهاتين الكلمتين الشيطانيتين.

فالله تعالى يخبر عن رسوله ﷺ أنه لم يُفتن لحظة واحدة عن الذي أوحاه الله إليه من آياته، وأنه سبحانه وتعالى ثبته بالعصمة عن مقاربة الركون إليهم، فضلا عن وقوع الركون نفسه، والرواية الكاذبة تتقول عليه ﷺ أنه ركن إلى مدح أوثانهم وتكلم به، وظل على اعتقاده زمنًا لم يكن بالقصير في مناسبته، حتى كشف له جبريل عليه السلام ما كان خافيًا عليه من التلبيس والتضليل، سبحانك هذا بهتان عظيم؟ إن هذا لهو الضلال المبين والافتراء المفترى والكذب المختلق، والإلحاد المتزندق.

الرواية التاسعة:

قال السيوطي:

وأخرج ابن جرير عن الضحاك أن النبي ﷺ وهو بمكة أنزل عليه في آلهة العرب، فجعل يتلو اللات والعزى، ويكثر ترديدها، فسمعه أهل مكة وهو يذكر آلهتهم، ففرحوا بذلك، ودنوا يسمعون، فألقى الشيطان، في تلاوته، تلك الغرانيق العلا، منها الشفاعة ترتجى، فقرأها النبي ﷺ كذلك، فأنزل الله:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾

(الحج : ٥٢)

هذه رواية تنادي على نفسها بالتهافت وضعة الأسلوب، فهي رواية مخترقة زائفة، مخرقة الإهاب، ممزقة الأديم، مشوهة المعالم، ليس لها نسق أعجمي، ولا نظم عربي، أرأيت إلى قولها: أنزل عليه في آلهة العرب، تأمل لتعرف أن هذا كلام مبرسم، لا ينطق به إلا الممخرقون(١٥)، ثم تأمل قول هذه الرواية المتهافتة: فجعل يتلو اللات والعزى، ويكثر ترديدها، فسمعه أهل مكة وهو يذكر آلهتهم ففرحوا بذلك ودنوا يسمعون.

أما أن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه في شأن آلهة العرب وأصنامهم وأوثانهم ذمًا وتسفيهًا، وتقبيحًا وبيانًا لضلال عابديها، فهذا ما أفعمت به جميع السور المكية، ولم تكن سورة النجم من أول ما أنزل منها [والآخرة]، فلا وجه لهذا القول وتخصيص سورة النجم به، وأما قول الرواية المتهافتة: فجعل يتلو اللات والعزى فما يُدرى ما تقصد الرواية بهذه

(١٥) المُمَخرِق: الكذاب. انظر تكملة المعاجم العربية. (المجلة).

التلاوة، فهل تقصد إلى أن النبي ﷺ جعل يردد على أسماع سامعيه من ملأ قريش وغيرهم اسمي الصنمين اللات والعزى هكذا إفرادًا لا إخبار فيه، يقصد إلى الإفادة، وهل هذا يُسمى تلاوة؟ وهل هذا النحو من ترديد الأسماء مفردة، ولا سيما أسماء الأوثان والأصنام يفعله عاقل، فضلاً عن أعقل العقلاء، سيد المرسلين، محمد ﷺ؟ أو تقصد الرواية المتهافتة أنه ﷺ جعل يتلو الآيات التي يذكر فيها اللات والعزى ويرددها ليُسمع المشركين ما فيها من إزراء على عقولهم وتسفيه لأحلامهم، وذم لأوثانهم، وإذن فما الذي أفرح المشركين، وجعلهم يدنون منه ﷺ ليسمعوا ما يقول في آلهتهم وقد سمعوا منه قبل هذا ما ضاقوا به ذرعًا؟.

وهل كان إلقاء الشيطان كلمتيه الخبيثتين في مدح الأوثان، وأنها مرجوة الشفاعة لعابديها قبل فرحهم بما سمعوا من ذكر آلهتهم بما يكرهون من ذمها أو بعد هذا الفرح؟ وتفريع الرواية المتهافتة في أسلوبها المهلهل يشعر بأن فرحهم كان قبل إلقاء الشيطان لكفرياته.

ثم تقول هذه الرواية المتهافتة متكشفة عن عوارها وعارها: فقرأها النبي ﷺ - أي فريةُ الزندقة على لسان الشيطان - كذلك - أي كما ألقاها الشيطان - فجعلها رسول الله ﷺ قرآنًا، فأنزل الله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾

(الحج: ٥٢)

أُفٍّ لهذه العقول السقيمة التي لا تعي ما يخرج من خرائب إلحادها وزندقتها... محمد سيد المرسلين، وأفصح العالمين يقرأ كلام الشيطان وهو أكفر الكفر، وأفجر الفجور، على أنه قرآن نزل إليه فيما نزل من وحي الله إليه فيدخله تلبيسًا عليه في القرآن.

هذا أسخف ما جاء به المبطلون، وأتفه ما تقوله المتقولون، وليس هو من الباطل الكذوب فحسب، ولكنه من وضيع السخف السخيف، ولا يمكن أن يقبله أو يروج إلا على البله المغفلين.

الرواية العاشرة:

قال السيوطي:

وأخرج ابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم بسند صحيح - كما يقول السيوطي - عن أبي العالية قال: قال المشركون لرسول الله ﷺ: لو ذكرت آلهتنا في قولك قعدنا معك، فإنه ليس معك إلا أراذل الناس وضعفاؤهم، فكانوا إذا رأونا عندك

تحدث الناس بذلك، فأتوه، فقام يصلي، فقرأ والنجم حتى بلغ

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

تلك الغرانيق العلى، وشفاعتهن ترتضى، ومثلهن لا يُنسى، فلما فرغ من ختم السورة سجد وسجد المسلمون والمشركون، فبلغ الحبشة أن الناس قد أسلموا فشق ذلك على النبى ﷺ فأنزل الله:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾

(الحج: ٥٢ – ٥٥)

هذه الروايــة صريحة في بطلان الأكذبــوة البلهاء، أكذوبة الغرانيــق، رغــم دعوى صحة إســناد إرســالها إلى أبــي العالية الذي ألصقت به، وهي تنادي على نفسها بالوضع والتكذب، وضعها أعداء الإسلام من الزنادقة الخبثاء والمنافقين الجبناء، ليفتنــوا بهــا ضعفاء العقــول ذوي الإيمان الهــش عن دينهم، ويشــككوهم فــي عقيدتهــم ورســالة نبيهــم ﷺ، ويحرفــوا كتابهم الحكيم المحكم الذي شــهد لــه الله تعالى بأنه كتاب حكيــم لا يأتيــه الباطــل من بيــن يديــه ولا من خلفــه، فقَبِلَها وأمثالها من الأكذوبات بُلهاء الرواة من المتكثرين الجماعين لغثاء الأقاصيص، دون نظر يكشــف ما فيهــا من زيف ملحد، وضلال كفور.

وأي ضلال أضل من التقول على ســيد المرســلين، محمد خاتــم النبييــن ﷺ بأنــه لُبِّــس عليه فلــم يميز بيــن كلام الله الحكيم وترهات الشــيطان الرجيم، فيدخل في قراءته ســورة النجــم وهو واقف بين يدي الله يصلــي، ويتلو من آيات القرآن ما ذم الله به الأوثان والأصنام، ويوبخ المشركين على اتخاذها آلهة تشــفع لهم عند الله -كلامًا خبيثًا فاجرًا كفورًا، تمدح به الأوثــان والأصنام التي ذمها الله تعالى في الآيات نفســها التي قرأها رســول الله ﷺ من سورة النجم وهو قائم يصلي، فتتقول هذه الرواية البلهاء عليه ﷺ بأنه أتبع آيات ذم الأوثان بهذيان

تُمدح به، وأنها مرجوة الشفاعة مرضيتها، وأن مثلهن لا يُنسى لما لها من المكانة والزلفى - في زعم عابديها - فالشيطان في هذه الرواية - صحيحة الإسناد في إرسالها إلى راويها - لم يُلقِ كلامه الكفور عند قراءة النبي ﷺ - كما في الروايات التي منع رواتها الحياء من هذا التقول - وإنما افتجرت هذه الرواية أكذوبة أخرى في داخل الأكذوبة الكبرى، زاعمة أن النبي ﷺ هو الذي ألحق هذا الكلام الكذوب الملحد بآيات الله تعالى التي قرأها وهو يصلي، فتقولت أنه ﷺ قرأ والنجم حتى بلغ

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

تلك الغرانيق... إلخ هذا الهراء السخيف، وقد تطوعت هذه الرواية الفاجرة فأخرجت الشيطان من مثوى الفجور والكذب، فلم تذكره - كغيرها من روايات الأكذوبة - بأنه هو الذي ألقى في قراءة النبي ﷺ هذه الكلمات الفاجرات - ولكنها جعلت النبي ﷺ - وحاشاه - هو الذي أدخلها في آيات الله تعالى، وقرأها على أنها قرآن منزل عليه، وقد أبت هذه الرواية الباطلة التي صُحِّح سند إرسالها إلا أن تمعن في الكذب، فزادت على غيرها من روايات الأقصوصة الغرنوقية كلمة لم تُذكر في رواية قط، وهي قول واضعيها من الزنادقة،

ومثلن -أي الأوثان- لا يُنسى، وهي كلمة مضحكة عابثة، لا معنى لها - حتى في زعم الزنادقة - وكأن الرواية لما لم تجعل هذا الكلام الخبيث من إلقاء الشيطان، بل جعلته من إلحاق النبي ﷺ، لم تشأ أن تحافظ على النص الخبيث في سائر الروايات، بل غيرته وجعلته (وشفاعتهم ترتضى)، (ومثلهن لا ينسى)، والكذب ليس له سياج ولا لأصحابه حياء، إنهم يكذبون إلحادًا في آيات الله، لا يبالون أقالوا معقولاً أم معلولاً؟.

وأي إلحاد أكفر كفرًا، وأفجر فجورًا من هذا التقول الخبيث الذي يجعل من سيد الخلق محمد ﷺ أداة تتلعب برسالته وتعبث بأصل أصول هدايته؟ وتجعل من القرآن العظيم دستور هذه الرسالة الخاتمة لرسالات السماء -مَعْبثةً للملحدين الزنادقة، يدخلون في آياته ما يناقض هدايته أشد المناقضة، ويفسد أسلوبه أشد الإفساد؟.

هذه الرواية التي يصحح الرواة سند إرسالها إلى أحد أئمة المحدثين هي أبشع فيما اشتملت عليه من تقول من سائر سابقاتها، وقد تمطت في تعرجاتها، واستطالت في سيرها على ألسنة الأكاذيب التى بلغ صداها الحبشة، لتلقي إلى المهاجرين الأولين أكذوبة أخرى تستنزلهم بها عن استقرارهم وأمنهم على أنفسهم ودينهم في هجرتهم، وتزعم لهم أن الناس في مكة قد أسلموا، وصفا الجو، فما

بقاؤكم بعيدين مشردين عن وطنكم وأهلكم وعشائركم، فلتعودوا إليهم ... ليروا لعنات الشيطان تتساقط عليهم، وتسعر نيران فجورهم وكفرهم ويشتد أوارها على من بقي وراءهم من إخوانهم المؤمنين مع رسول الله ﷺ يشدون أزره، ويحتملون في سبيل عقيدتهم وإيمانهم صنوف الأذى والبلاء صابرين محتسبين.

وعاد المهاجرون الأولون، وهم قلة معدودة ميممين شطر وطنهم، ولكنهم لم يكادوا يقربون من مكة حتى سمعوا قعقعة فوادح البلاء والأذى تزمجر فوق رءوس إخوانهم المؤمنين، ودخلوا مكة يدفعهم الحنين إلى الأهل والولد والوطن، واستقبلهم الطغاة من قومهم، يتداولونهم بأنواع التعذيب، يصبونها عليهم صبًا، وأيقنوا كذب ما صرخ به الشيطان بينهم من إسلام مشركي مكة، فتحينوا الفرص ليعودوا إلى مأمنهم في هجرتهم، وعادوا واستقروا، ولحق بهم جماعات كثيرة لم يكونوا قد هاجروا معهم هجرتهم الأولى، حتى نصر الله دينه ونبيه وعباده المؤمنين، وأذل الشيطان وشركه، ودحر الكفر وحزبه، حتى كانت عودة جميع المهاجرين من أصحاب الهجرتين عودة ظافرة في ظل العزة الإسلامية والنصر المؤزر للإسلام والمسلمين.

وهذه الرواية هي الثانية من بين الروايات التي عرضنا

لذكرها، تذكر بلوغ الخبر الكاذب أرض الحبشة مما كان سببًا في زعم الروايات لعودة المهاجرين الأولين، وهو سبب يكاد يجمع عليه رواة الأبطولة الغرنوقية، وقد سبقت هذه الرواية في ذكر بلوغ الخبر الكاذب الحبشة رواية ابن أبي حاتم عن طريق موسى بن عقبة.

وعودة المهاجرين الأولين من الحبشة إلى مكة حقيقة تاريخية، بيد أن ربطها بأكذوبة الغرانيق هو أكذوبة أخرى، أما السبب الحقيقي لعودة مهاجري الهجرة الأولى من الحبشة إلى مكة، هو ما وقع في الحبشة من الهرج والمرج، واشتعال نيران الفتن بين الشعب والملك في قصة ساقها ابن إسحاق عن طريق أم سلمة رضي الله عنها، فخاف المسلمون المهاجرون أن ينالهم من وراء ذلك سوء، يذهب بأمنهم واستقرارهم، فرحلوا عائدين إلى وطنهم، موطنين أنفسهم على تحمل ما يلقونه فيه من أذى الأهل والعشيرة في سبيل عقيدتهم ودينهم، حتى إذا استوثق الأمر للنجاشي في بلده وانجلت عن الحبشة سحائب الفتنة عاد المسلمون إلى الهجرة وهاجر معهم أضعاف أعدادهم، وكانوا دعاة لدينهم، مبلغين رسالة نبيهم ﷺ، ناشرين لدعوة الحق والهدى والنور.

الرواية الحادية عشرة:

قال السيوطي:

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أبي العالية، قال: نزلت سورة النجم بمكة فقالت قريش: يا محمد، إنه يجالسك الفقراء والمساكين، ويأتيك الناس من أقطار الأرض، فإن ذكرت آلهتنا بخير جالسناك، فقرأ رسول الله ﷺ سورة والنجم، فلما أتى على هذه الآية

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

ألقى الشيطان على لسانه: وهي الغرانيق العلى، شفاعتهن ترتجى، فلما فرغ من السورة سجد وسجد المسلمون والمشركون إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص، فإنه أخذ كفًا من تراب فسجد عليها، وقال: قد آن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير، فبلغ ذلك المسلمين الذين كانوا بالحبشة أن قريشًا قد أسلمت، فأرادوا أن يقبلوا، واشتد على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه ما ألقى الشيطان على لسانه، فأنزل الله:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج: ٥٢)

هذه الرواية هي الرواية السابقة سندًا وتخريجًا، وإلصاقًا بأبي العالية، فهي مثل سابقتها من إخراج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أبي العالية، ولكنها تختلف مع سابقتها في سياق الأكذوبة، فالرواية السابقة تقولت على النبي ﷺ أنه هو الذي أدخل الكلمتين الفاجرتين، مباشرة في آيات القرآن، وهو يصلي، ولم يأت فيها للشيطان، ذكر بأنه هو الذي ألقى على لسان النبي ﷺ ما ألقى من الكفر.

وهذا الصنيع أدخل في الزندقة والإلحاد؛ لأن كون النبي ﷺ، وهو واقف بين يدي ربه يصلي، ويقرأ ما نزل عليه من آيات القرآن الحكيم يدخل في قراءته هذا الكلام الفاجر الكفور - ويمضي يقرأ فلا يتنبه إلى ما وقع من الطامة الكبرى حتى يختم السورة ويسجد في آخرها، ويشاركه في هذا السجود المشركون، لا تفسير له إلا أنه ﷺ سلب خصائص رسالته، بل بشريته، فلم يدر - وحاشاه ﷺ - الكفر من الإيمان، ولم يدر ما نزل عليه من وحي ربه في ذم الأوثان والأصنام، مما لم ينزل عليه من مدحها، وتحقيق رغائب عابديها في شفاعتها لهم، وزادت فتقولت أن نص الكلام الكفور فيه ما ليس في غيره من الروايات فقالت: ومثلهن لا ينسى، وإن شفاعتهن ترتضى، وفي الرواية الأولى ربط الأكذوبة بالحبشة، وعودة مهاجريها الأولين، وفيها نص من صاحب (الدر) على صحة

سندها إرسالاً إلى أبي العالية.

ولا يـدرى هـل الروايتـان روايـة واحـدة، دخلهـا التزيـد والتصرف والاختلاق الملفق، فحكى واضع القصة هنا نسـقًا ونصًا، وذكر هناك نسقًا ونصًا ليضلل ويخدع، أو أن الروايتين هما روايتان منفصلتان ألصقتا بأبي العالية دون علم من واضع إحـدى الروايتين بـأن القصة محمولة على أبـي العالية، فوقع التكرار والاختلاق الكذوب.

ويؤكد هـذا الاتجاه أن الرواية الأولى ذكر فيها السـيوطي أنها صحيحة السـند، مع أن السـند لم يختلف في الروايتين، فلمـاذا ترك السـيوطي النـص على صحة السـند فـي الرواية الثانية؟!

كما لا يدرى لماذا سـاق السـيوطي في (الدر) هذه الرواية عقب الرواية السابقة مباشرة؟ ولعله رأى تعدد الرواية عن أبي العالية لاختلاف السـياق والنص، وهذا يحمل في طياته أن أبا العالية حُمل الإسناد إليه في الروايتين، وهو منه بريء.

وكيفما يكن الأمر فهذه الرواية ظاهرة الفسـاد والبطلان، لأنهـا كغيرها مـن روايات الأكذوبة البلهـاء تتقول على النبي ﷺ بأن الشـيطان لبّـس عليه، وألقى على لسـانه أقبح الكفر في سـجع سمج، وأنه ﷺ انطلى عليه ذلك، وقرأه معتقدًا أنه من وحي الله، وأنه من آياته المنزلة عليه ﷺ في سورة النجم،

وأنـه ﷺ مضى في تلاوة السـورة بعد إدخال هـذا الفجور في آياتها حتى ختمها وسـجد في آخرها، وسـجد معه المسلمون والمشركون. وتزيد هذه الرواية في الأكذوبة أن أحد طواغيت الشرك وأحلاس الوثنية (أبا أحيحة) أبى أن يسجد استكبارًا، وأخـذ كفًـا من تراب رفعه إلى وجهه وسـجد عليه، وقال ينبذ النبـي ﷺ بالألقاب: لقـد آن لابن أبي كبشـة – يعني محمدًا رسول الله ﷺ – أن يذكر آلهتنا بخير.

ولم تكشـف هذه الرواية الكاذبة متى تنبه النبي ﷺ إلى ما ألقاه الشيطان على لسـانه من البهتان، ولم تذكر هذه الرواية مـا ذكره غيرهـا من مجيء جبريل إليـه ﷺ وتبيينه له أن هذا الـكلام الخبيـث ليس مما جاءه بـه، وعندئذ تنبـه النبي ﷺ واشـتد عليـه وعلى أصحابـه الأمر حتى طيـب الله قلبه فأنزل عليه:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾

(الحج: ٥٢)

وهذا الاضطراب ما يؤكد بطلانها.

الرواية الثانية عشرة:

قال السيوطي:

وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي عند المقام إذ نعس، فألقى الشيطان على لسانه كلمة فتكلم بها، وتعلق بها المشركون عليه، وقال:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

فألقى الشيطان على لسانه ونعس: (إن شفاعتهن لترتجى، وإنها لمع الغرانيق العلى) فحفظها المشركون وأخبرهم الشيطان أن نبي الله ﷺ قد قرأها، فذلت بها ألسنتهم[١٦] فأنزل الله:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

(الحج: ٥٢)

فدحر الله الشيطان ولقن نبيه حجته.

هذه رواية مهلهلة النسج، ممزقة الأديم، كذوبة المعنى، خبيثة المبنى، كافرة الهدف، تنادي على واضعها بتفاهة

---

(١٦) ذلت: انقادت. (المجلة).

التعقـل، وضحالـة التفكيـر، فهي تقول: بينا رسـول الله ﷺ يصلـي عند المقام إذ نعس، وهـذا معناه أن النعاس هجم عليه ﷺ وهـو فـي حالة صـلاة والنعاس ضـرب من النـوم، يُذهب الإحسـاس والشـعور، فكيف يتصور وقوع ذلك من رسول الله ﷺ، فـي مطلع الدعوة واشـتداد أزمتهـا، وهو ﷺ يناجي ربه في الصلاة؟.

وتقـول الرواية عقب ذلك مباشـرة: فألقى الشـيطان على لسـانه كلمة، فتكلـم بها، وظاهر أسـلوب الرواية يقتضي أن الشـيطان ألقى كلمته على لسـانه ﷺ وهو ناعـس نائم، وأن النبـي ﷺ تكلـم بتلك الكلمة وهو ناعس نائـم، وإلى هنا لم تذكر الرواية كلمة الشـيطان التي ألقاها على لسان النبي ﷺ وتكلم بها، لكن الرواية تقول: وتعلق بها المشـركون عليه، وهـذا يفيد أنها ألقيت وسـمعت، وأن المشـركين سـمعوها وتعلقوا بها على رسول الله ﷺ، ثم تأتي الرواية فتقول: فقال - أي رسول الله ﷺ -:

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

ثم تقول الرواية - المهلهلة - فألقى الشـيطان على لسانه ونعس - وهذا قد تقدم في الرواية - (وإن شفاعتهن لترتجى، وإنهـا لمـع الغرانيق العلـى) وهذا نـص في كلمة الشـيطان

مغاير لكل ما ورد في الروايات الأخرى، إذ فيه تقديم رجاوة شفاعة الأوثان على وصفها بالغرانقة العلى، وفيه تغيير في هذا الوصف إذ قيل فيه وإنها لمع الغرانيق العلى، والمذكور في الروايات الأخرى تلك هي الغرانقة العلى، فهذه الهلهلة الأسلوبية في سياق كلمة الشيطان المزعومة دليل على اضطراب النسج في وضع الأكذوبة البلهاء.

ثم تعود الرواية – المهلهلة – فتقول: فحفظها المشركون، وأخبرهم الشيطان أن النبي ﷺ قد قرأها فذلت بها ألسنتهم، وما قيمة هذه الطنطنة في إعادة ذلك، والإخبار بأن المشركين حفظوا الكلمة الشيطانية الفاجرة، وأن ألسنتهم ذلت بها؟ أفكان متصورًا أن تعسُر هذه الكلمة الكافرة على حفظ المشركين؟ أو كان من المتعاصى عليهم أن تلوكها ألسنتهم وترددها حتى يقال: ذلت بها ألسنتهم؟ ولكن الكذوب لحوح لجوج.

ثم لا يستحي الأبله المخدوع مختلق هذه الرواية أن يجعل هذه الرواية معبثة، فتقول: فأنزل الله

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾

(الحج: ٥٢)

فدحر الله الشيطان، ولقن نبيه حجته، فأين دحر الشيطان والرواية تقول: إنه ألقى على لسان النبي ﷺ كلمته الفاجرة، وأنه ﷺ قرأها، وأن المشركين فرحوا بها وتعلقوا بها. وأين هي الحجة التي لقنها الله تعالى نبيه ﷺ؟ أهي في زعمهم إنزال آية

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾

(الحج: ٥٢)

والآية - على زعمهم - في تفسير الأمنية بالتلاوة تفيد أن جميع أنبياء الله ورسله سلط عليهم الشيطان، فألقى في تبليغهم رسالات ربهم الأكاذيب المكفرة الناقضة لأصل تلك الرسالات الإلهية؟.

الرواية الثالثة عشرة:

قال السيوطي:

أخرج عبد بن حميد عن عكرمة قال: قرأ رسول الله ﷺ ذات يوم

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ (٢٠) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ (٢١) تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩ - ٢٢)

فألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ : تلك إذن في الغرانيق العلى، تلك إذن شفاعة ترتجى، ففزع رسول الله ﷺ، وجزع، فأوحى الله إليه:

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾

(النجم: ٢٦)

ثم أوحى إليه ففرج عنه:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾

(الحج: ٥٢).

هذه الرواية غريبة جدًا في تلفيقها وتكذبها، وهلهلة نسجها الذي يهوي بها إلى سحيق البطلان والبهتان، فليس لها بناء أسلوبي متماسك، وهي - كما ترى - قد أبعدت النجعة، وأوغلت في الخيال مخالفة سائر روايات الأخلوقة الغرنوقية، حيث وضعت كلمات الشيطان المزعومة في مكان من نصها القلق المضطرب، ينبو عنها، وتنبو عنه، لأن جميع الروايات في كذبها وبطلانها تضع كلمات الشيطان الكافرة عقب قول الله تعالى:

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

وهــذه الروايــة المهلهلــة وضعــت كلمات الشــيطان بعد ذلــك بآيتين، هما قولــه تعالى في تأكيد توبيخ المشــركين، وتقريعهم:

﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾

(النجم: ٢١، ٢٢)

وهذا الوضع يدل على جهالة جاهلة، وبلاهة بلهاء.

وإذا كان وضع كلمات الشيطان المزعومة شديد النفرة في وضعه في سائر الروايات الكاذبة بعد قوله تعالى:

﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾

(النجم: ٢٠)

لمــا يبدو فيه من قلق واضطراب ونفرة، فهو في وضعه في هذه الرواية الباطلة بعد قوله تعالى:

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾

(النجم: ٢٢)

أشــد نفــرة وقلقًــا واضطرابًــا؛ لأن الكلمتيــن الخبيثتين قــد يخــدع بهمــا لأول وهلة نظر غفــول مغفل مــن ذوي البله المغررين في وضعهما بعد

﴿ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾

(النجم: ٢٠)

لأن التقريع في قوله تعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾

(النجم: ١٩)

المفهوم من الاستفهام الإنكاري المستفتح به فعل الاستخبار الساخر من المخاطبين المشركين (أفرأيتم) لم يستوف مؤداه الذي يمنع الإيهام أن يلج إلى ساحته، وقد يعمد مأفون الفكر إلى تجريده من معناه البياني في إطار البلاغة القرآنية وينقله إلى معنى سوقي عامي، فيزعم أنه مجرد استعلام، وحينئذ يأتي وضع الكلمتين الخبيثتين متسقًا خادعًا، وإن كان هذا الإيهام لا استقرار له عند النظر الجائل في رياض البراعة البيانية، فهو سرعان ما يذهب بددًا ويتبدد ذهابًا مع قاصفات النظر الناقد الممحص.

أما وضع كلمات الشيطان الفاجرة - كما جاءت في هذه الرواية المهلهلة بعد قوله تعالى:

﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾

(النجم: ٢١، ٢٢)

فهو وضع غبي جهول، يدل على أن واضعه - على زندقته وإلحاده - لم يشم رائحة نظم الكلام واتساق نسقه، وهو من ضعف التفكير ومهانة الرأي، ووهن المعرفة بأساليب الكلام وبراعة البيان واتساق النظم في الكلام المستقيم، فضلاً عن

الكلام البليغ المعجز بمكان الإنعام بمحافل عباقرة البيان.

ذلـك لأن التقريع المؤدي بهمزة الاسـتفهام الإنكاري في قوله تعالى:

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾

(النجم: ١٩)

قد تأكد ورفع عنه احتمال الإبهام في إرادة مجرد الاستخبار عنـد أول النظـر، وتعيـن لما سـبق لـه مـن الإنـكار المُقرِّع المُجْبَـه(١٧)، بقوله تعالى الذي أعيد فيه الاسـتفهام الإنكاري بأداته نفسها:

﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴾

(النجم: ٢١)

ثـم بتسـجيل أقبـح الظلم عليهـم ودمغهم به فـي الإخبار المعقب للاستفهام الموبخ

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴾

(النجم: ٢٢)

وحينئـذ لا يلتئـم فـي عقل قـط أن يجيء بعد هـذا، ذلك الـكلام الخبيث فـي مدح الأوثـان وجعلها شـفعاء ترتجى أو

(١٧) قرَّعَه: أوجعه باللوم والعتاب. وجبَهَهُ أصابه في جبهته. ويستعار لإبداء الحجة القوية في مواجهة الخصم. (المجلة).

ترضى شفاعتها لما في ذلك من الكفر البواح، ولما فيه من موافقة المشركين على اعتقادهم، تلك الموافقة المتناقضة مع تقريعهم وتوبيخهم على اعتقاد أن هذه الأوثان شفعاؤهم عند الله.

ومن ثم كان سياق هذه الرواية المهلهلة عنوان كذبها وبطلانها، وبلاهة واضعيها من الزنادقة الملحدين - ولو ركب لها ألف سند بآلاف الأسماء اللامعة بهالات الإكبار.

ولا معنى لهذا البيان التحليلي لأن نقف عند إقحام الرواية المهلهلة أن رسول الله ﷺ فزع وجزع، إذ لا فزع ولا جزع، لأنه لا يوجد سبب للفزع والجزع، ولا معنى لإقحام قوله تعالى:

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾

(النجم: ٢٦)

لأنه لا مناسبة له إلا على حمل زندقي كفور، محال أن يجري على لسان مسلم في رواية محكمة النسج، صادقة التعبير، ذلك الحمل هو أن يكون القرآن العظيم قد جاء بتصديق المشركين في اعتقادهم أن هذه الأوثان والأصنام التي وصفها الشيطان في كلمته الخبيثة بأنها شفعاء لعابديها عند الله ملائكة تشفع لهم، ثم تناقض مع نفسه فرد عليهم بأن كثيرًا من الملائكة لا تغني شفاعتهم شيئًا، وخص بذلك

من في السماوات ليكون ذلك أبلغ في ردع هؤلاء المشركين وإبطال اعتقادهم في زعم أن أوثانهم ملائكة تشفع لهم.

ثم تنتهي هذه الرواية الكاذبة بعد هذا التلفيق والهلهلة إلى ما انتهت إليه سائر أخواتها بالكذب والاختلاق، من أن الله تعالى أنزل قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾

(الحج: ٥٢)

ليفرج عن النبي ﷺ ما نزل به من الهم والغم لتقوله على الله - في زعم الرواية الباطلة - ما لم يقل، وهذا تلبيس وخداع فاجر لتغطية عوار الكذب الذي جاءت به الرواية كغيرها من روايات الأكذوبة الغرنوقية البلهاء.

الرواية الرابعة عشرة:

قال السيوطي:

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: خرج النبي ﷺ إلى المسجد ليصلي، فبينما هو يقرأ إذ قال:

﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩)

فألقى الشيطان على لسانه، فقال: تلك الغرانقة العلى، وإن شفاعتهن ترتجى، حتى إذا بلغ آخر السورة سجد وسجد

أصحابه، وسجد المشركون لذكره آلهتهم، فلما رفع رأسه حملوه فاشتدوا به بين قطري مكة، يقولون نبي بني عبد مناف، حتى إذا جاءه جبريل عرض عليه، فقرأ ذينك الحرفين، فقال جبريل: معاذ الله أن أكون أقرأتك هذا! فاشتد عليه، فأنزل الله يطيب نفسه

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾

(الحج: ٥٢)

ليت القلم الذي أرغم على حكاية هذا الغثاء العفن في عرض هذه الروايات المهلهلة الباطلة في أكذوبة الغرانيق البلهاء- مستغفرًا باكيًا- يتأتى له أن يضحك في غمرة الأسى والحزن على ضياع عقول الذين فقدوا خصائص إنسانيتهم، فهرفوا بكل متهافت سقيم من الروايات إرضاء لعواطف الحقد الأسود، الذي أفعمت به قلوبهم المريضة، شنفًا لهذا الدين القيم[١٨]، دين الإسلام القويم، الذي أرسل به سيد المرسلين وإمام المتقين، محمد الأمين ﷺ.

وليت هذا القلم يستطيع أن يربت على أكتاف البله

(١٨) الشَّنَفُ شدة البغض. (المجلة).

المغفلين، المتكثرين من تلقف كل سوء في روايات داحضة مِنْ كلِ مَنْ هب ودب، إشفاقًا عليهم من هول ما اجترحوا، وإشفاقًا على عقولهم التي قبلت هذه الروايات الباطلة، فسودوا بسوادها بياض غفلتهم لسلامة صدورهم، ليت، وليت!!

بيد أن الأمر أمر عقيدة وإيمان، وأمر دين وإسلام، وأمر أمة تنتشر في أقطار الأرض وفي أدمغتها توقير وقداسة لناقلي روايات عقيدتها وشرائع دينها، بل هو أمر هداية هادية منجية من عذاب الله، أو ضلالة ضالة مضلة موبقة، أو أمر عقول عاقلة تفقه ما تقول وما يقال لها، أو أمر نزغات شيطانية عاتهة، تطغى على الفكر فتفسده، أو أمر كتاب أنزله الله بالحق وللحق على رسول، ختم الله برسالته رسالات السماء، فعصمه أن يتقول عليه شيئًا يبهت به كمال إلهيته.

فلا مكان للأضاحيك الماجنة، ولا محل فيه للمجانة العابثة، ولا مواضع للمجاملة والمداهنة، ولا سبيل فيه لمراعاة فلان وفلان، أو إغضاء عن هَيّان بن بَيَّان(١٩)، فهو جد كله، لا يقبل الهذل والهذيان، ولا هجر القول والخرافات، ولا تلج إلى ساحته الأساطير والأبطولات، ولا يرضى بالسكوت

---

(١٩) هيَّان بن بيَّان: مثل فلان بن فلان، غير أنها تذكر في الكلام عمن لا يُعرَف له أصل. (المجلة).

عن المساس بأصوله الإيمانية، ولو كان ذلك المساس مغلفًا بأغلفة تحريف التأويل والإدهان[٢٠]، أو هالات الأسماء وطنطنة الأتباع.

هذه الرواية الممسوخة أكثر روايات الأكذوبة الغرنوقية البلهاء المتهاوية عبثًا وتلاعبًا صبيانيًا وتفاهة فكرية، فهي من أغرب روايات الأخلوقة الكاذبة، فيما جاءت به من الحركة البهلوانية المضحكة المبكية، السخيفة المستسخفة، التي لم تعرفها قط المجتمعات إذ ذاك، والتي لا تصدقها عقول الأطفال العابثين فضلاً عن الرجال العقلاء العالمين.

والسدي صاحبها وحامل لواء إرسالها، والمتولي كبر إسنادها إليه، قد قال فيه أئمة الجرح كلمتهم الفاصلة، وإليها المرجع والمصير إذا صح الحمل عليه، ونحن لا نعتقد أن أحدًا من أهل العلم في الإسلام روى شيئًا أي شيء من أكذوبة الغرانيق البلهاء الفجور، وإنما حمل عليهم هذا الكذب زورًا لهم ليخدع به ذوو البله والغفلة المتكثرون.

يقول السدي- فيما تزعم هذه الرواية- : إن النبي ﷺ خرج ليصلي في المسجد، فبينما هو يقرأ (أي في الصلاة طبعًا) إذ قال:

(٢٠) ادَّهن وضع دهنا أي عطرا زيتيا. وتستعار للمصانعة والملاينة. (المجلة).

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾
(النجم: ١٩، ٢٠)

فألقى الشيطان على لسانه كلمتيه الخبيثتين، ومضى رسول الله ﷺ في قراءته حتى بلغ آخر السورة، ولم يتنبه قط لما أدخل عليه الشيطان في قراءته لآيات القرآن من سورة النجم، ولما ختم السورة وهو مكذوب عليه، ملبّس في أمر قراءته سجد وسجد أصحابه، وسجد المشركون لذكر آلهتهم، وهذا معناه- بداهة- أن المشركين سمعوا ذكر آلهتهم والثناء على أوثانهم وأصنامهم فسجدوا لذلك، وهم متنبهون لذكر آلهتهم ومدحها والثناء عليها بأنها شفعاؤهم عند الله، والنبي ﷺ لم يتنبه لذلك، واستمر على اعتقاده أن الذي أدخله عليه الشيطان من مدح آلهة المشركين قرآن منزل عليه من عند الله حتى نبهه جبريل عليه السلام حين أتاه وعرض عليه ما جاءه به من آيات القرآن، فقرأ النبي ﷺ فيما تزعم الرواية الكاذبة- الحرفين اللذين أدخلهما عليه الشيطان في العرض الذي عرضه على جبريل، وحينئذ قال له جبريل عليه السلام: معاذ الله أن أكون أقرأتك هذا، وحينئذ فقط تنبه النبي ﷺ إلى أنه تقوَّل على الله ما لم يقل، وما لم ينزل به عليه الوحي، وأنه أشرك الشيطان بإدخال كلامه في كلام الله تعالى، فاشتد عليه الأمر جدًا، واغتم لذلك غمًا شديدًا، وهنا تقول الرواية الكاذبة: فأنزل الله عليه يطيب نفسه:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾

(الحج: ٥٢)

إلى هنا تكون هذه الرواية زائفة ماشية في خطا أخواتها الكاذبات الباطلات ومنعرجاتها، ولكنها لا ترضى أن تقف حيث وقفن، بل تقفز لتستأثر بموقف بهلواني مضحك سخيف، فتقول مستسخفة للعقول، مستخفة لعواطف الأغمار من جهلة الغوغاء وغوغاء الجهلة: فلما رفع رسول الله ﷺ أي من الصلاة- حملوه وطاروا به مشتدين بين قطري مكة جيئة وروحة، يتنادون في بله وبلاهة وطيش وعبث: هذا نبي بني عبد مناف؟! ولم تذكر الرواية شيئًا عن موقف النبي ﷺ من هذه الحركة البهلوانية، ولا شيئًا عن موقف عمومته، وهم يرونه مخطوفًا محمولاً على الأعناق، مُطافًا به بين جنبات مكة فكيف أسلموه؟ ولم يستريبوا في هذه اللعبة البهلوانية الطائشة المريبة، وهم يعلمون أن محمدًا ﷺ مطلوب لملأ قريش، ينتظرون به فرصة تمكنهم منه؟

هذا لون من عبث الروايات الأسطورية المتكثرة، سقناه لا لنرده، فهو مردود باطل، ولكن لأننا رأينا طائفة من أهل العلم تتشبث ببعض هذه الروايات اغترارًا بكثرتها وتعدد

أسـانيدها، وتحـاول تأويلها لتثبت أن للأقصوصـة الغرنوقية أصـلاً لا يجوز معه إنكارهـا وتكذيبها، فهؤلاء هم الذين نقف معهم لئلا يخدع بكلامهم ومكانتهم من ليس له تعمق البحث ومعرفة الغث من السمين، والطيب من الخبيث، والرجس من الطاهر، والحق من الباطل.

إلى هنا نكتفي بهذا القدر من هذه الروايات التي ذكرناها، منقولة عن (الدر المنثور) لجلال الدين السـيوطي، ويشبه أن يكون السـيوطي قد استوعب بهـا جميع أو أكثـر ما جاء في أقصوصـة الغرانيـق الباطلة، والـذي لم نذكره مـن الروايات ليـس فيه بما يفوت ما ذكرناه، وقد نبهنا في سـوق الروايات علـى ما نبه عليه السـيوطي من صحة إسـناد بعـض الروايات إلى مرسـلها، وليس فيها رواية قط متصلة الإسـناد على وجه الصحة، ولم يذكـر في جميع الروايات صحابي قط على وجه موثق، وما ذكر فيه باسـم ابن عباس منها فكلها ضعيفة واهية خلا رواية سعيد بن جبير على الشك في إسنادها إلى الحبر ابن عباس، والشك يوهيها.

وسـيأتي كلام الأئمة في تضعيف جميع روايات الأقصوصة من جهة السـند، والبلاء كل البـلاء، والطامة الكبرى في هذه القصـة إنما يكمن في متونها، وأن هالات الإكبار التي أضفاها واضعو الأكذوبة على بعض أسـانيدها لا يغني عن زيف متونها

في جميع رواياتها شيئًا، لأن الأسانيد طالما ركَّبها الوضاعون الكذابون، فأقحموا فيها بعض أهل العلم من الموثقين، لتروج متونها على البله المغفلين، وهذا كثير معروف في كتب الجرح والتعديل، قام به رجال صادقو الإيمان، حاذقو الفهم، مهرة النقد، منحهم الله خصائص المعرفة في تمييز الأصيل من الدخيل، والغث من السمين، والحق من الباطل. وليس أحد سوى الأنبياء والمرسلين بمعصوم.

رأي الحافظ ابن حجر في هذه الأكذوبة

عـرض ابن حجر لأقصوصـة الغرانيق في الجـزء الثامن من (فتح الباري بشرح صحيح البخاري عند قول المصنف: وقال ابن عباس في

﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾: إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته. قال ابن حجر: وصله- أي تفسير (تمنى) بـ(حدَّث)- الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مقطعا. قلنا: وعلي بن أبي طلحة لم يلق ابن عباس ولم يأخذ عنه.

ثم قال ابن حجر في شـرح قول البخاري: (ويقال: أمنيته، قراءتـه، إلا أماني يقرءون ولا يكتبـون) هو قول الفراء، قال: التمني التـلاوة، قال- أي الفراء-: وقوله: لا يعلمون الكتاب إلا أماني، قال: الأماني: أن يفتعل الأحاديث، وكانت أحاديث يسـمعونها مـن كبرائهم، وليسـت من كتـاب الله، قال- أي الفراء- ومن شواهد ذلك قول الشاعر:

تـمـنـى كـتـاب الله أول لـيـلـة
تـمـنـي داود الـزبـور عـلـى رسـل

قال الفراء: والتمني حديث النفس، انتهى.

ثم قال ابن حجر: قال أبو جعفر النحاس في كتاب (معاني القرآن) له، بعد أن ساق رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

في تأويل الآية: هذا أحسن ما قيل في تأويل الآية، وأعلاه، وأجله.

وتفسير ابن عباس في رواية البخاري (تمنى) بحدَّث (وأمنيته) بحديثه أو قراءته معارض بحديثه عند عبد بن حميد من طريق السدي- الكبير- عن أبي صالح عن ابن عباس، إذ قال: إن أمنيته أن يسلم قومه، وهذا هو المعنى اللغوي المعروف المشهور لتفسير التمني والأمنية، فيتعين أنه المراد، وأن تفسير البخاري مُؤول بحديث النفس، أي اشتهاء إسلام قومه، وإرادته، والرغبة فيه، وحبه، وحرصه على حصوله، فكان يحدث بذلك نفسه مشتهيًا أن يراه محققًا، ويدل لهذا ما جاء في حديث محمد بن كعب ومحمد بن قيس عند سعيد بن منصور وابن جرير، إذ قالا: جلس النبي ﷺ في ناد من أندية قريش كثير أهله، (فتمنى) يومئذ ألا يأتيه شيء من الله ينفر قومه منه، فيتفرقوا عنه، فالتمني هنا صريح في أن المراد به رغبة النبي ﷺ واشتهاؤه ألا ينزل عليه شيء- وهو في نادي القوم متمكن من دعوتهم وإسماعهم حجة الله وكلامه- ينفرهم منه.

وموقف البحث من كلام ابن حجر في معنى (التمني والأمنية) كما فهمه من صنيع الإمام البخاري يقتضينا أن نضع بين يدي أهل العلم ما يلفت نظرهم إلى ما فيه من احتمالات:

أولاً: إن رواية الإمام البخاري عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى:

﴿ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾

(الحج: ٥٢)

إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ليست نصًا قاطعًا في تفسير التمني والأمنية بحديث اللسان بمعنى التلاوة والقراءة، لاحتمال أن يراد منه: إذا حدث- أي نفسه- برغائبه ومحابه واشتهائه إسلام قومه، كما جاء صريحًا عن ابن عباس في حديثه الذي أخرجه عبد بن حميد عن طريق السدي عن أبي صالح، وفيه كما ساقه السيوطي في الدر فقال ابن عباس: إن أمنيته أن يسلم قومه.

ومعنى كلام ابن عباس في حديث ابن حميد يستلزم أن يرد المبهم في رواية البخاري إلى المفسر في رواية ابن حميد، وبهذا الرد يتوحد المعنى، وينتهي إلى أن معنى الآية أن الله تعالى يحكي أن من سنته مع أنبيائه ورسله وسنة هؤلاء الأنبياء والرسل في تبليغ رسالاتهم وإراداتهم إيمان من أرسلوا إليهم، وحبهم تحقيق هذا الإيمان وشدة حرصهم عليه، أنهم يحدثون أنفسهم برغائبهم في هداية أقوامهم متمنين أن يهديهم الله إلى الإيمان، وأن الشيطان يضع العراقيل والمعوقات في طريق هداية أولئك الأقوام،

ويلقي الشبه والأضاليل والشكوك بوسوسته في قلوبهم وتفكيرهم ليصدهم عن تقبل الإيمان والهداية والاستجابة إلى الله ورسله، وهذه هي أمنيات الأنبياء ورغائبهم، ولكن الله تعالى يبدد شبه الشيطان وأضاليله، ويزيلها بما يفتح في قلوب من يرد الله هدايته من سبل الهداية ويحكم آياته ودلائل هدايته في أنفس المهتدين بحكمته وواسع علمه ومحكم تدبيره.

ويدل على قيام هذا الاحتمال في تأويل كلام البخاري لحديث ابن عباس، بل ترجيحه أن البخاري رحمه الله حكى بُعيدَه بصيغة التمريض والاستضعاف القول الذي يفيد بنصه أن معنى أمنيته قراءته، فقال: ويقال: أمنيته قراءته، وهذا ذكره البخاري في مقابل القول الأول الذي يحتمل التأويل بحديث النفس ليرجع الكلام في معنى التمني والأمنية إلى نهج موحد.

ثانيًا: أن تفسير الفراء التمني بالتلاوة- كما صرح به ابن حجر- إنما هو تفسير بما هو بصلة من المعنى اللغوي الوضعي للتمني وما تصرف منه، وليس بيانًا لمعنى لغوي وضعي، ويدل لذلك ما ساقه ابن منظور في (لسان العرب) من قول أبي منصور: والتلاوة سميت أمنية لأن تالي القرآن إذا مر بأية رحمة تمناها- أي رغب فيها- وأحب أن تكون، وإذا

مر بآية عذاب تمنى أن يوقاه- أي أحب أن يجعل الله بينه وبين هذا العذاب وقاية فلا يلحقه منه شيء.

فالمعنى الوضعي اللغوي الحقيقي للتمني والأمنية هو محبة الشيء والرغبة في حصوله، وتشهي وقوعه. وهذا المعنى المعروف المستعمل في كلام العرب المتداول في كلامهم شعرًا ونثرًا.

أما تفسير التمني بالتلاوة والقراءة على أنهما معنى وضعي حقيقي فلم يعرف له شاهد قط إلا هذا البيت الفذ من الشعر الذي تناقله الخلف عن السلف من الزاعمين أن معنى التمني التلاوة والقراءة، وبيت الشعر الذي اعتمد عليه أولئك الزاعمون منسوب في بعض الكتب إلى حسان بن ثابت، يقولون إنه قاله في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه: وهو قوله في زعم الزاعمين:

تمنى كتاب الله أول ليلة
وآخره لاقى حمام المقادر

وابن منظور ساق هذا البيت، وقال: إنه في مرثية عثمان، ولم يسم قائله، حسانًا أو غيره، ثم قال ابن منظور: والتمني التلاوة، وتمنى إذا تلا وقرأ، ثم قال: وقال آخر:

تمنى كتاب الله آخر ليلة
تمني داود الزبور على رسل

وهذا استشهاد لا تثبت به المعاني اللغوية الحقيقية للألفاظ وإلا فكيف تعرف العرب في لغتها هذا المعنى - التلاوة والقراءة - للتمني وما تصرف منه، ثم لا يوجد في كلامها شعره ونثره شواهد سوى هذا البيت الذي تلاعب به متلاعب فجعله بيتين، بتغيير شطره الثاني بكلام لا يكاد يلتئم مع شطره الأول، إلا بمجرد إرادة التلاوة من التمني في شطري البيت.

وقصائد حسان رضي الله عنه في رثاء عثمان مشكوك في نسبتها إليه لأن حسانًا قد بلغ إذ ثورة الأشرار على عثمان من الكبر عتيًا، فيبعد - كما يقول المتشككون، ومنهم (بروكلمان) في كتابه (تاريخ الأدب العربي) - أن تكون قدرة حسان الشعرية على هذه القوة التي تجلت في هذه القصائد على وتيرتها في الإجادة كما كانت أيام عنفوانه ونضحه عن النبي ﷺ ورده على تهاجي الشعراء من قريش واليهود.

وقد ساق ابن منظور في (اللسان) شواهد من الحديث والآثار وكلام أئمة اللغة تدل على أن معنى (التمني والأمنية) هو الإرادة والمحبة والرغبة في حصول الشيء واشتهاء وقوعه، فقال: والتمني سؤال الرب في الحوائج، وفي الحديث (إذا تمنى أحدكم فليستكثر فإنما يسأل ربه)، قال ابن الأثير: التمني اشتهاء حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النفس بما يكون وما لا يكون.

ثـم نقل ابن منظور عن أبـي بكر بن دريد صاحب الجمهرة قولـه: تمنيت الشـيء قدرته وأحببت أن يصيـر إلي، ثم قال: قـال الجوهري: وتمنى الشـيء أراده... وتمنـى الكتاب قرأه وكتبـه، وهذا النص مـن إمام اللغة الجوهـري صريح أن معنى التمني عند الإطلاق هو الإرادة والمحبة، ولا يسـتعمل بمعنى القراءة والتلاوة إلا مضافًا للكتاب.

فقول ابن منظور بعد ذلك: وفي التنزيل العزيز

﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾

(الحج: ٥٢)

أي قرأ وتلا، لا يتمشى مع نقله معنى التمني مطلقًا ومقيدًا، ثم سـاق البيت الفذ المنسوب لحسان بن ثابت، والتمني في البيت مقيد (تمنى كتاب الله) وقال: والتمني التلاوة، وتمنى إذا تلا القرآن، ثم ذكر البيت الثاني غير منسوب، وفيه تقييد التمني بالكتاب.

السلف لم يفسروا (تمنى) بـ(تلا):

والخلاصـة أن تفسـير البخـاري التمنـي بما نقلـه عن ابن عبـاس غير ملزم لتعيـن تفسـير (التمني) في الآيـة بالتلاوة والقراءة، وهو التفسير الذي كان مفتاحًا لباب اختلاق أكذوبة الغرانيـق، وما اشـتملت عليه من طامات وبلايـا؛ لأن التمني

جاء في الآية مطلقًا عن قيد الإضافة إلى الكتاب، فلم يذكر له مفعول قُيذشد به، وتفسيره- كما جاء في حديث ابن عباس عند البخاري- يُحَدِّث محتملٌ أن يكون معناه حدَّث نفسه برغبته واشتهائه هداية قومه، وهذا الاحتمال يتفق مع معنى (التمني) في تفسير ابن عباس عند ابن حميد فيجب المصير إليه؛ لأنه تفسير لغوي لا يرد. وبهذا البيان يظهر ألا وجه لما زعمه ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان) إذ قال: ومنها أن الله سبحانه أخبر أنه ما أرسل من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته. قال ابن القيم: والسلف (كلهم)- عجيب- على أن المعنى (تلا) ألقى الشيطان في تلاوته ثم ساق البيت الفذ، ولم ينسبه لحسان أو غيره.

تمنى كتاب الله أول ليلة
وآخره لاقى حمام المقادر

فأين السلف (كلهم)- يا سدنة العلم- الذين هم على أن المعنى في الآية (تمنى) أي تلا، وأمنيته تلاوته! وابن القيم لم يذكر واحدًا من السلف الذين زعم عليهم (كلهم) أنهم يقولون: أن معنى (تمنى) في الآية (تلا).

والسلف هم أمة الإسلام كلها في القرون الخيِّرة الثلاثة: الصحابة والتابعون وأتباع التابعين، والذي ذكره البخاري عن ابن عباس فقط قد عَرَفْتَ وجهه ووجوب رده إلى قوله الصريح

في حديثه عند عبد بن حميد من قوله: أمنيته أن يسلم قومه.

ولعل ابن القيم أراد بالسلف (كلهم) الذين أسندت إليهم مراسيل أكذوبة الغرانيق من بعض المحدثين والرواة، وقد عرفنا سبيل هذه الروايات الباطلة الكاذبة، وحسن الظن بأهل العلم وحملة الرواية في الإسلام يجعلنا نجزم ببراءتهم من تلك الروايات الباطلة، وأنها حُملت عليهم حملاً لا يرضونه ولا يقولون بما حملوه.

وقد دلف ابن حجر من أبواب هذه الروايات الباطلة إلى موقف في قصة الغرانيق كان حريًا به في فضله وغزارة علمه بالروايات أن لا يرى فيه، ذلك أنه لم يكد ينتهي من تصريف معنى التمني والأمنية تصريفًا انتهى به إلى الوقوف عند قول ابن عباس في سياق البخاري:

﴿ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾

(الحج: ٥٢)

إذا حدَّث ألقى الشيطان في حديثه- حتى أقحم أقصوصة الغرانيق التي لم يتعرض لها الإمام البخاري من قريب أو بعيد، إقحامًا يشعر بأنه يريد أن يقول شيئًا في موضوع يتحين له الفرصة، ولو على متن أبعد المناسبات، ولو أن الحافظ ابن حجر أهمل أقصوصة الغرانيق فلم يذكرها في فتحه، ما أحس أحد قط أن (الفتح) نقص شيئًا يجب أن يُقال في شرح الجامع

الصحيح للإمـام البخاري، ولكن الحافظ ابن حجر رأى- وهو النحرير في روايات الحديث- أن الأقصوصة الغرنوقية احتلت فـي كتب الحديث ودواوين التفسـير والسـيرة النبوية مكانًا جدليًا كثر فيه الجذب والشـد، فلا يستقيم في شرعة الصنعة الحديثية أن يخلو منها مؤلف عظيم في شـرح أعظم كتاب في رواية الحديث مثل (الفتح) في شرح جامع الإمام البخاري.

وقد يلتمس حسـن الظن بفضل الحافـظ ابن حجر عذرًا له في إقحامه هذه الأقصوصة الباطلة باعترافه ولجوئه إلى التأويل لمـا وقع فيها مما يسـتنكر، لاسـتحالة وقوعـه من النبي ﷺ لمكان العصمة منه- أن الإمام البخاري ذكر تفسـير ابن عباس للتمني في قوله تعالى:

﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾

(الحج: ٥٢)

قـال: إذا حدث ألقى الشـيطان في حديثـه، ويقال: أمنيته قراءته.

فلعل الحافظ توهم أن البخاري يشـير بهذا التفسـير للفظ (التمنـي) ولفـظ (الأمنيـة) إلى ما جـاء في مراسـيل القصة مما يتلاءم مع هذا التفسـير، ولما كان البخـاري لا يقيم وزنًا للحديث المرسـل فـي الاحتجاج به ولم يعرج على شـيء من مراسيل القصة، ولم يشر إلى ذكرها قط؛ لأنها لم تثبت عنده

في حديث صحيح على طريقته ونهجه في جامعه، والذي جاء عنها مسندًا إلى ابن عباس في حديث سعيد بن جبير دخله الشك في إسناده إلى ابن عباس من قول سعيد (فيما أحسب)، فلا تقوم به حجة لضعفه بهذا الشك.

وقد يشير إلى هذا في التماس العذر للحافظ ابن حجر لإقحامه أقصوصة الغرانيق في (الفتح) دون أن تدعو إليها ضرورة ملحة في فهم شيء يتوقف على ذكرها اعتماده على حديث سعيد بن جبير المتصل عن ابن عباس، وهو صاحب التفسير الذي ساقه البخاري في بيان معنى (التمني والأمنية) في آية

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾

(الحج: ٥٢)

إذ يقول الحافظ: وعلى تأويل ابن عباس هذا يحمل ما جاء عن سعيد بن جبير، وقد أخرجه ابن أبي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة، عن أبي بشر عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ بمكة (والنجم) فلما بلغ

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾

(النجم: ١٩، ٢٠)

ألقى الشيطان على لسانه: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى: فقال المشركون: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم، فسجد وسجدوا، ونزلت الآية، قلنا: وقد عرفنا أن لابن عباس رضي الله عنهما تأويلا آخر في معنى (التمني) وهو تأويل صريح لا يحتمل غير ظاهر معناه، وهو التأويل الذي جاء في حديث عبد بن حميد في أول رواية ساقها السيوطي (في الدر) وتأويل ابن عباس هذا الذي حمل عليه ابن حجر حديث سعيد بن جبير في قصة الغرانيق محتمل التأويل- كما حررناه- فلا وجه لحمل حديث سعيد بن جبير على أحد تأويلي ابن عباس لمعنى (التمني) وإهمال الآخر سوى أن هذا التأويل الذي فسر (التمني) بالتلاوة معبر إلى قصة الغرانيق، فإن احتج لهذا التأويل بأنه من رواية البخاري، وهي أصح من كل رواية غيرها، قلنا: لا نعارض في ترجيح رواية البخاري على غيرها عند الإطلاق، لكن إذا لاح مرجح لغير رواية البخاري على روايته فقد وجب المصير إليها، وهنا ترجح رواية عبد بن حميد عن ابن عباس في تفسير (أمنيته) أن يسلم قومه بعدم الاحتمال لغير هذا المعنى الظاهر مع وجود الاحتمال في رواية البخاري بأن قوله: (تمنى إذا حدَّث) أي حدث نفسه باشتهائه إسلام قومه، وهذا المعنى هو ما ورد في حديث عبد بن حميد، ولا شك أن ما لا يحتمل أولى وأحق مما يحتمل

فيجب حمل ما يحتمل التأويل على ما لا يحتمله.

ثم راح الحافظ ابن حجر يذكر من خرَّج حديث سعيد بن جبير، فقال: وقد أخرجه البزار، وابن مردويه من طريق أمية بن خالد عن شعبة، فقال في إسناده- أي الذي دخله الشك في وصله بابن عباس-: قال البزار تفرد بوصله أمية بن خالد- وهو ثقة مشهور- وقد عرفت أن ثقة أمية بن خالد وشهرته لا تفيد شيئًا مع التصريح بالشك في وصله بابن عباس في قول سعيد بن جبير: فيما أحسب- ولو أن الحافظ ابن حجر وقف عند حديث سعيد بن جبير الموصول عن طريق الثقة أمية بن خالد بابن عباس- مع الشك- في هذا الوصل لكان له بعض التعلق بما اعتذرنا به عنه، ولكنه مضى يسوق روايات واهية في مراسيل قصة الغرانيق، فقال بعد سوقه لكلام البزار في أن حديث ابن جبير لا يروى متصلاً إلا بالإسناد الذي تفرد فيه بوصله الثقة المشهور أمية بن خالد.

ثم قال ابن حجر: قال البزار وإنما يروى هذا- أي غير موصول- من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. انتهى كلام البزار.

ثم قال ابن حجر: والكلبي متروك، ولا يعتمد عليه، وقد أخرجه النحاس بسند آخر فيه الواقدي، وهو ضعيف، وذكره ابن إسحاق مطولاً، وأسنده عن محمد بن كعب، وكذلك عن

موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب الزهري، وكذا ذكره أبو معشر في السيرة له، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس، وأورده من طريقه الطبري، وأورده ابن أبي حاتم عن طريق أسباط عن السدي، ورواه ابن مردويه عن طريق عباد بن صهيب عن يحيى بن كثير، عن الكلبي، عن أبي صالح، وعن أبي بكر الهذلي وأيوب عن عكرمة، وسليمان التيمي عمن حدثه، ثلاثتهم عن ابن عباس، وأوردها - أي قصة الغرانيق - الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس.

قال الحافظ ابن حجر: ومعناهم كلهم واحد في ذلك، وكلها سوى طريق سعيد بن جبير، إما ضعيف، أو منقطع - أي فلا يحتج به هذا حكم صريح - إذا ضم إليه ما جاء من الشك في وصل حديث سعيد بن جبير، وهو شك لا يبقي شيئًا يعتمد عليه في قبوله، يقطع بوهي ووهن أقصوصة الغرانقة الباطلة.

وهي قصة تتعلق بالعقيدة من جوانب مختلفة كل جانب منها يتطلب نصًا قاطعًا لا يكفي في إعلاء درجاته إلا التواتر القاطع في اللفظ والمعنى وفي أدنى مراتبه الصحة المتفق عليها في حديث متصل إسنادًا إلى النبي ﷺ، وهو في هذا الموضوع أمر متفق عليه بين جميع طوائف العلماء من المفسرين والمحدثين.

الفهرس